الورقة الأولى

العقيدة الأمنية الإسرائيلية: فشل متراكم*

يقول أهود باراك، وزير الدفاع الإسرائيلي،:

"إسرائيل بحاجة إلى خطة بناء لقوتها العسكرية
توفر لها قدرة الردع والحسم ..."

مقدمة

ليس هناك أخبار سارة لمن يرون في إسرائيل، الجهاز الحاكم بمنظوماته المختلفة، نموذج نجاح لتحقيق الأهداف التي وضعها زعماء الحركة الصهيونية منذ إقامتها.

يدعي هذا البحث أن إسرائيل في عام ٢٠٠٧م في مأزق متعدد الجوانب، يعود في الأساس إلى فشل متراكم في الأبعاد الثقافية والقيمية والعسكرية الصرفة في عقيدتها الأمنية، بدأ وانكشف نتيجة تناقضات بنيوية وقيمية، كثير منها بعيد عن قيم إنسانية نبيلة، وتجاهل وجود طرف آخر في الصراع العربي الإسرائيلي، وتحد عربي غداة حرب حزيران ١٩٦٧م حين هب الشعب المصري رافضا استقالة الرئيس جمال عبد الناصر والهزيمة. وتراكم المأزق مع حدوث ستة مواجهات عسكرية بين العرب وإسرائيل. فالعقيدة الأمنية لا تتحمل تغييرات ولا حتى تحسينات لارتكازها على مبادئ ومفاهيم وفرضيات ثقافية راسخة في عقول زعماء إسرائيل[١].

وقد استبعد دان ماريدور الذى كلف رسميا بإجراء تغييرات في العقيدة الأمنية الإسرائيلية أي تغييرات جوهرية[٢].

تعرف العقيدة الأمنية في هذه الدراسة على أنها ثقافة ومبادئ ومفاهيم وقيم واستنتاجات من تجارب مختلفة تشمل مختلف نواحي الحياة المتعلقة بالأمن الجسدي

* **د. مسعود إغبارية** أستاذ العلوم السياسية، وباحث وخبير في شؤون السياسة الإسرائيلية/ فلسطين.

والنفسي والاقتصادي والاجتماعي لحياة الإنسان التي يعيشها، سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي[٣].

نقيس مدى فشل العقيدة الأمنية الإسرائيلية بالنتائج المترتبة على ساحة الواقع، ومن مواصفات هذا المأزق:

- **أولا:** حقق زعماء الحركة الصهيونية احتلال الأرض الفلسطينية، واستعمارها، وتشريد قسم من أصحابها الأصليين، ولم ينعم المستوطنون بالسلام والأمن والأمان. وسياساتهم تقودهم لمزيد من عدم الاستقرار، ووصفت لجنة فينوغراد حول حرب تموز- آب ٢٠٠٦م تصرفات القيادة الإسرائيلية بالفشل ١٦٤ مرة.
- **ثانيا:** زيادة التناحر الداخلي في إسرائيل[٤]، وازدياد الهجرة اليهودية من فلسطين.

يتذكر إسرائيليون مؤخرا وصية الجنرال بنيامين بيلد قائد سلاح الطيران في إسرائيل في سنوات السبعين لأولاده حين جمعهم قبل وفاته في تموز ٢٠٠٢م بساعات، وهو في كامل قواه العقلية: "حالا بعد موتي، اخرجوا وسيروا في الشارع، اقرعوا ذلك الجرس الموجود في صالون البيت، ورددوا ما يلي: مات مجنون اعتقد أن اليهود يستطيعون إقامة دولة"[٥]. ويناقشون ظاهرة أبراهام بورغ رئيس الكنيست السابق الذي قال: إن مشروع هرتسل إقامة الدولة اليهودية قد فشل لأنه مبني على قاعدة الاستعلاء القومي والازدراء للآخرين، ولم يأت بشيء سوى القتل والدمار[٦].

الثقافة الأمنية: رؤية خاطئة وفشل ذهني وتنفيذي

كان واضحا منذ البداية عند أغلب زعماء الحركة الصهيونية أنه بغية احتلال الأراضي الفلسطينية والعيش عليها بأمن وأمان في دولة يهودية لا بد من التخلص من الفلسطينيين (المسلمين والمسيحيين)، السكان الأصليين، باستعمال السلاح. فحققوا ما سعوا إليه، شردوا أغلب الفلسطينيين، لكنهم لم يضمنوا بعد إقامتهم الدولة اليهودية في

فلسطين عام ١٩٤٨م الأمن والأمان؛ لأن من يعمل على منع الآخرين من العيش بأمن وأمان باستعمال القوة وارتكاب الجرائم، لن ينعم بها هو نفسه مهما كانت مقومات جبروته، ويلاحقه شعور المجرم في حياته.

ولد مشروعهم ومعه معضلة أمن أساسية، فدفع وضع الأمن في المكان المركزي، حاولوا، وعلى رأسهم دافيد بن غوريون، خلق ثقافة أمنية ترسي الأسس لعقيدتهم الأمنية وللعمل الأمني على كافة المستويات، واعتمدت عقيدتهم على فرضيات، أبرز مبادئها بعيدة عن القيم الإنسانية، ومن بينها:

- **أولا:** لا يعترفون بوجود طرف آخر في الصراع العربي الإسرائيلي.
- **ثانيا:** يعدون أنفسهم شعب الله المختار، ويقسمون العالم إلى مجموعتين: يهودى وأغيار (غير يهود).
- **ثالثا:** يركزون على الكارثة اليهودية حيث جعلتهم مجموعة خاصة يحق لها ما لا يحق لغيرها.
- **رابعا:** يركزون على معتقدات قديمة تساعدهم على ارتكاب الجرائم، مثل من يأتي لقتلك بادر أولا واقتله، بمعنى كما يراه أبراهام بورغ: "إما أنا منتصر وأنت ميت، وإما أنا ميت".
- **خامسا:** الارتكاز على قاعدة أن العالم كله ضدنا، وغير اليهودي يظل يكره اليهود حتى بعد موته ودفنه بالأرض أربعين سنة[٧].

وصف أبراهام بورغ الثقافة الإسرائيلية بالمأساوية المشبعة بالخوف الدائم.

وما يرتكز على خطأ يتطور غالبا بشكل خاطئ، فبدأ يكتشف إسرائيليون في السنوات الأخيرة شيئا فشيئا انعدام القيم الإنسانية في الثقافة السياسية والأمنية الإسرائيلية التي بدورها بدأت تشكل معضلة للمشروع بأكمله. يقول د. إيفون كوزلوفسكي غولان: إن اتساع الثقافة والتعليم في إسرائيل في عام ٢٠٠٧م أصبح عبئا،

وسيخلق جيلا ضعيفا بلا قيم من الناحية الإنسانية[٨]. ويقول الباحث ليف غرينبرغ ٢٠٠٧م: إن القيادة الإشكنازية في إسرائيل قد جعلت من الانتفاضة الثانية حربا ضروسا لهدف وقف زيادة قوة اليهود الشرقيين في إسرائيل التي تجسدت بارتفاع مكانة حزب شاس ليحصل على ٤٣٠ ألف صوت في انتخابات ١٩٩٩م، ويحصل على ١٧ عضو كنيست شرقيا، وبزيادة مكانة دافيد ليفي الشرقي في حزب الليكود، وتجسدت بتقديم أهود براك اعتذارا لهم على التقصير بحقهم منذ إقامة الدولة، وبتقارب ثقافي مع العرب حين أقيمت منظمة "القوس الديموقراطية الشرقية" ذات الثقافة العربية[٩].

سنستعرض فيما يلي أبرز معالم الثقافة الأمنية الإسرائيلية التي ولدت قبل قيام إسرائيل وترعرعت في العقود الثلاثة الأولى بوساطة دافيد بن غوريون (السلطة العليا) حسب وصف (Lissak,1992)[١٠]، وزعماء من الصف الأول أتوا من بعده، منهم يغئال ألون ويسرائيل غاليلي وغولدا مئير وموشيه ديان وشمعون بيرس،وإسحاق رابين، وما زالت تسيطر على العقلية الإسرائيلية. سوف نبرز أن جميعها أو أغلبيتها بعيد عن التحقيق والمنال، أو حتى النجاح في خلق الأرضية للتحقيق على ساحة الواقع[١١]:

١) **الأمن أول الأفضليات**: بهذا حاول زعماء الحركة الصهيونية إبراز الأمن على كافة المستويات كي تتم المحافظة على المشروع الذي قاموا بتحقيقه، وضمان استمرار وجوده بتعبئة الناس وتسخير الطاقات الاقتصادية والبشرية. ومع الوقت زاد التركيز على هذا الموضوع؛ لأن التطورات في المنطقة ساعدت على إبراز التناقض بين ما تم تحقيقه بالقوة وبين ما يجب أن يكون لخدمة الإنسانية. يرى بعض أن هذا التفكير يصب في خانة تفكير الإنسان المجرم الذي ارتكب جريمة وهو مدرك لتداعياتها، هذا ما أدى إلى صدامات داخلية، ويساعد على زيادة عدم الاستقرار.

٢) **تفكير عنصري ضد الآخرين** يرتكز على معتقدات متجذرة في الثقافة السياسية الإسرائيلية، من بين أبرزها: نحن شعب الله المختار الذي يمنح لليهود امتيازا على باقي

البشر"[١٢]. وتدرج هذه الأفكار ضمن نظرية العرق اليهودي، إذ يشكرون الله في صلواتهم على أنهم ليسو من الأغيار، بل "رفعهم فوق كل الشعوب"[١٣]. ومن أبرز طروحات هذه النظرية أن الدم اليهودي خير من دم غير اليهودي، والجينات اليهودية خير من جينات الأغيار. هذا التفكير منتشر بين أوساط كثيرة في إسرائيل. يعتقد (رحبئام زئيفي) أحد القادة البارزين في إسرائيل، والذي تخلد ذكراه وتراثه وفق قانون في جهاز التربية والتعليم، أن "يهوديا واحدا يساوي ألف عربي". ويفسر حاخامات في إسرائيل بأن وصية "لا تقتل" تسري بين اليهود فقط. أي إن قتل غير اليهودي من قبل اليهودي لا تعتبر جريمة مماثلة لقتل اليهودي. الجهاز القضائي في إسرائيل يسير وفق هذا التفكير، فحين يتم قتل عربي بواسطة يهودي يعاقب اليهودي عقابا خفيفا، وقد يبرّأ كليا ولو كانت الأدلة دامغة[١٤].

٣) **المحافظة على استمرار الصراع**: ترى الثقافة الأمنية الإسرائيلية أن استمرار الصراع يخدم استمرار وجود دولة إسرائيل وازدهارها. فمنهاج التعليم الإسرائيلي في المدارس العبرية يقوم على قاعدة العداء الدائم والحرب المتواصلة والكراهية المقيتة والرفض المطلق للتعايش مع العرب والمسلمين[١٥]. ويسير هذا وفق النظرة القائلة: الكل نازيون: ألمان وعرب، الكل يكرهنا، والعالم دائما ضدنا[١٦]. ويرى حاخامات كثر في إسرائيل- وخاصة من يؤيدون الاستيطان في المناطق المحتلة- أن استمرار الصراع يصب في مصلحة اليهود؛ لأنه يقرب من اليوم التي سيسود به اليهود على العالم أولا[١٧]، ويحافظ عليهم من خطر غير اليهود ثانيا، فهو يخلق فرصة ليقوم اليهودي بطرد الأغيار من هذه البلاد سواء كان الأمر للأفراد أو للجماعات. فلا غرابة- إذاً- من الموقف الذي ينفي وجود نوايا إسرائيلية جدية للتوصل إلى حل الصراع مع أي طرف عربي. والسير في هذا التفكير والعمل على تطبيقه على ساحة الواقع يضع قادة إسرائيل في موقف الدفاع، ولا يترددون في اللجوء إلى تأويلات وتفسيرات للتركيز على أن هدف الزعماء العرب

هو القضاء على إسرائيل، غير عابئين باتفاقية سلام مع مصر ١٩٧٩م، وأخرى مع الأردن ١٩٩٤م، واعتراف متبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل في أوسلو عام ١٩٩٣م. وتخلق هذه النظرة ضجرا عند أعداد متزايدة من الإسرائيليين، إذ يريدون- في عصر العولمة وقلة أهمية الحدود السياسية والحواجز، إن لم يكن انعدامها كليا- العيش بهدوء وأمان، وهم لا يجدونه في إسرائيل.

٤) **الدولة في خطر:** هذه نظرة بدأها بن غوريون منذ قيام إسرائيل وما يزالون يحافظون عليها بغية المحافظة على الدولة وتجنيد الناس من حولها للدفاع عنها، إلا أن هذه النظرة تعد في الوقت نفسه عائقا كبيرا بدأت تظهر نتائجه على كثير من الإسرائيليين الذين لا يريدون العيش طيلة الوقت في جو خطير، يعنون من وراء ذلك أن الخطر قادم من الأعداء المحيطين بها ومن الأعداء الداخليين: المواطنين العرب الذين وصفوا- من بن غوريون وحتى بنيامين نتنياهو- بطابور خامس، أي إن الأمن يعنى درء الخطر والدفاع عن الوجود، وبكلمات يغئال ألون: "الوقوف صامدين في وجه الحصار الإستراتيجي"[١٨]. فالهدف أولا تحقيق توحيد الصفوف لبناء مجتمع يهودي وحمايته، وثانيا إطلاق العنان لتمرير سياسات ظلم ضد العرب والفلسطينيين، سواء كانوا من مواطني الدولة: عرب الـ ٤٨، أو من سكان المناطق المحتلة عام ١٩٦٧م، أو من مواطني الدول العربية المحيطة. وهذا لا يخلق الأمن لليهود، ولا يحقق وحدة أو تماسكا داخليا بين المجموعات اليهودية ذات الثقافات المختلفة في المدى البعيد.

٥) **التركيز على الكارثة اليهودية** التي هي أكثر المواضيع تطرقا لها في الثقافة السياسية والعامة في إسرائيل، وربما بين يهود العالم، لدرجة أن وصل الأمر بأبراهام بورغ ٢٠٠٧م أن يقول: إنها باتت موجودة في حياتنا أكثر من وجود الرب[١٩]. ودوافع التركيز:

- إيجاد شرعية لوجود اليهود في البلاد، لتكون درسا يقتدى به كي لا يحدث مثلها لليهود في العالم مرة أخرى.

- خلق شرعية للأعمال غير الإنسانية التي يقومون بها تجاه العرب والفلسطينيين، ويدخل تصريح أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل بأن حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧م هي حدود "أوشفيتس" في هذا الإطار[٢٠].
- كسب عواطف العالم على أنهم ضحية.
- خلق هوية جماعية يهودية على أرضية مأساة مشتركة.
- التحريض ضد العرب. فغالبا ما يقارنون أي زعيم عربي يتحدى المشروع الصهيوني في فلسطين بهتلر بغية نزع شرعيته المحلية والعالمية. وقد كان هذا الوصف من نصيب الرئيس جمال عبد الناصر ومن نصيب ياسر عرفات.
- خلق شرعية لوجود سلاح نووي سلاحا رادعا يساعد على منع قيام "هتلر" جديد بمحاولة إبادة اليهود من جديد. ويحاولون إثبات ذلك من خلال التركيز على أن ما حدث لهم لم يحدث لأي شعب ولا لأي أمة أخرى. فعلى سبيل المثال حين قام كاتب هذه السطور عام ٢٠٠١م ببحث ميداني في كلية بيت بيرل بين الطلاب العرب واليهود حول الكارثة اليهودية والنكبة الفلسطينية، احتج أغلب الطلاب اليهود على أحد الأسئلة الذي يقارن بين الكارثة اليهودية والنكبة الفلسطينية، وكان جوابهم "كيف يجرؤ الباحث على مقارنة الكارثة بجريمة أخرى؟

كتب بن غوريون للرئيس جون كندي عام ١٩٦٢م- الذي عبر عن قلقه من معلومات تشير إلى نية إسرائيل تطوير سلاح نووي- ما يلي: "ما حدث لستة ملايين يهودي من إخوتنا قبل عشرين سنة سوف يحدث لمليونين من اليهود في إسرائيل لو هزم الجيش الإسرائيلي لا سمح الله"[٢١]، ويقول عوفر شيلح في كتاب عن جيش إسرائيل: إن الروح التي تُسيّر الجيش الإسرائيلي هي "روح معسكر أوشفتس التي ترفرف فوقنا".

من جهة ثانية يلاقي هذا التركيز على الكارثة اليهودية انتقادات من قبل يهود، فعلى سبيل المثال يقول أبراهام بورغ: إن هذا يعني أن إسرائيل تقدس الأموات ولا تقدس الأحياء من اليهود.

٦) **إسرائيل قلعة عسكرية** Garrison State. حين وُصِفت إسرائيل بهذا الوصف حاول القائد العسكر البارز (يغئال ألون) أن يضفي صفة الطابع العسكري على دولة إسرائيل كي تعكس قوة، وربما لم يكن يدرك الانعكاسات السلبية لهذه التسمية. أتى بهذا الوصف علميا Lasswell عام ١٩٤١م حين تحدث عن الدولة التي يسيطر عليها رجال الجيش أو الأمن ممن أسماهم بالخبراء الأمنيين. ووصْفُ إسرائيل بهذا الوصف له تداعيات سلبية، فهو يذكّر بسبارطة اليونانية وما آلت إليه في النهاية، ولا يتقبله كثير من علماء السياسية المؤمنين بالقيم الديمقراطية لوجود تناقض مع هذه القيم، ولأنه يعنى سيطرة التفكير العسكري الذي يتميز بالعنف والحزم، وبالطاعة العمياء على مختلف روافد الحياة.

واستمرارا لسياساتها وكونها دولة قلعة عسكرية أصبحت إسرائيل اليوم وفق بعض التقييمات دولة بوليسية كما تنبأ في أواخر الستينيات الفيلسوف الإسرائيلي الشهير بروفسور يشعيا هوليفوفتش[٢٢].

٧) **الأمة الإسرائيلية أمة مجندة**: يصبو قادة إسرائيل من وراء طرح هذا المبدأ إلى تجنيد الأمة الإسرائيلية كاملة، ويرونه مهما إلى درجة أن يقول بن غوريون: إنه بدون تجنيد جميع الطاقات يمكن إلحاق الهزيمة بإسرائيل في أرض المعركة. إلا أن الأمر منوط بكثير من العقبات والصعوبات التي تظهر في السنوات الأخيرة مع زيادة عدد الهاربين من التجنيد بوسائل شتى، من بينها السفر خارج البلاد، والحصول على شهادات مرضى نفسيين، وعلاقات خاصة، أو رفض مبدئي بسبب الاحتلال، ناهيك عن نسبة المعافيين منه قانونيا. وحين تحدث باراك وزير الدفاع الإسرائيلي في بداية آب ٢٠٠٧م عن "جيش نصف الشعب" اعترف بفشل القادة في إسرائيل في بناء أمة مجندة كما تمناها قادة الحركة الصهيونية التاريخيين حين دأبوا على خلق الرأي بـ: إنه لمفخرة كبرى أن يكون الإنسان مجندا، وإنه لشرف أن يموت الإنسان دفاعا عن الدولة.

٨) **فقط، جيش قوي يضمن استمرار بقاء دولة إسرائيل**: يلعب الجيش- حسب طرح بن غوريون- دورا مهما وأساسيا في إقامة معالم الأمة وصورتها وبنائها وتوحيدها وتحديدها، ومن ثَمَّ الحفاظ عليها[٢٣]. وهناك إجماع على هذه النظرة. يقول يسرائيل غاليلي (١٩٨٧م): إن الجيش يجب أن يكون قويا، جيشا للشعب، من أبرز وظائفه بعد صيانة الأمن هو التأثير على تربية الشباب ليضمن استمرار بقاء الدولة العبرية. لكن ما يجري على الأرض أمر يثير القلق عند أوساط إسرائيلية. فالجيش- كما يراه إسرائيليون بأعداد متزايدة- لم يعد جيشا قويا يضمن استمرار بقاء الدولة، فقد وُجِّهت له ضربات قوية في حرب العاشر من رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣م، وفي الانتفاضتين، وفي حرب لبنان عام ٢٠٠٠م، وفي حرب تموز/ آب ٢٠٠٦م، الأمر الذي هز الصورة الإيجابية التي دأب زعماء إسرائيل على وصف جيشهم بها.

٩) **الجيش مثل بوتقة لصهر الخلافات بين اليهود**: كان واضحا، منذ البداية، أن من بين أبرز مهام الجيش أن يعلب دور إناء تصهر به المجموعات اليهودية المهاجرة من ثقافات مختلفة، لخلق مجتمع إسرائيلي يقف على أرضية مشتركة وهوية مشتركة، إلا أنه فشل في هذه المهمة إلى حد ما وهناك اعترافات عديدة. الانقسامات في المجتمع الإسرائيلي حادة وآخذة في الاتساع في السنوات الأخيرة. وتجد هناك من يتهم الجيش بلعب دور في تفسيخ علاقات اليهود في إسرائيل بين من يخدمون به- ولا يتجاوزون ٥٠٪ من الإسرائيليين- وبين الذين لا يخدمون. وعلى مستوى آخر، أصبح قسم من هؤلاء المجندين يأخذون أوامر من حاخاماتهم بدل ضباطهم، كان آخرها ما حدث في مدينة الخليل في النصف الأول من آب ٢٠٠٧م حين رفض جنود الانصياع لأوامر الجيش، والتزموا بأوامر حاخاماتهم في المدارس الدينية التي أشارت أن الإخلاء ينافي توراتهم. كتب الصحفي ليئور أوبرباخ الذي خدم في الجيش ضابط انضباط ما يلي[٢٤]: "لا يتطلب من الجندي الجديد أكثر من عدة أيام من انضمامه للجيش حتى يتأكد أن الجيش كإناء طبخ

لصهر الخلافات في المجتمع الإسرائيلي هي أكذوبة كبيرة. حالا يقسم الجندي إلى مجموعتين: من لهم قيمة، ومن لهم قيمة أقل". وأشار إلى مشكلة يواجهها هؤلاء المجندون حين قال: "قسم يخدم في الجيش ويبذلون جهدا ولكنهم يعتبرون جنودا من الدرجة الثانية".

١٠) **بأنفسنا نتدبر:** شعار مهم طرحه بن غوريون معتقدا أنه بالاعتماد على يهود إسرائيل ويهود العالم وحدهم يمكن إقامة دولة يهودية، والمحافظة على استمرار وجودها، وأكد ما يلي: "علينا الاعتماد على أنفسنا... بقوتنا نردع الآخرين...علينا التحضير للحرب معتمدين على أنفسنا، فقط على أنفسنا؛ لأن مستقبلنا، مستقبل الاستيطان، الشعب والدولة مرهون بالأساس بنا نحن". وفي مكان آخر أكد بن غوريون أن: "علينا معرفة الحقيقة البسيطة والأساسية والقاسية، وهي: إنه فيما يتعلق بأمننا علينا الارتكاز قبل كل شيء على أنفسنا، على قدراتنا الذاتية، وليس على قوات أجنبية"[٢٥]. تشير التطورات منذ إقامة إسرائيل إلى أن طرح الشعار أمر وتطبيقه على ساحة الواقع أمر آخر، وخاصة أن إسرائيل دولة فقيرة من كثير من الثروات الطبيعية.

تبين بعد مدة وجيزة أن هذا الطرح كان شعارا لرفع معنويات، وربما لتضليل الذات، وحين الجد وجدت إسرائيل نفسها بحاجة ماسة إلى الدعم الخارجي بالمال والسلاح والخبرات. وبعد فترة قصيرة من قيامها وافق بن غوريون- رغم معارضة قوى اليمين في إسرائيل برئاسة مناحم بيغن-[٢٦] على أموال التعويضات من ألمانيا الغربية، وتقبل الدعم من الولايات المتحدة الأمريكية بكميات كبيرة وصلت منذ تأسيس إسرائيل حتى عام ٢٠٠٦م قريبا من ٢٥٠ مليار دولار[٢٧]. فكيف يمكن تفسير المساعدات الضخمة المستعجلة التي حصلت عليها إسرائيل- في ذروة معارك حرب العاشر من رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣م حين تدهور وضعها، وكانت تواجه صعوبات كثيرة- عبر قطار جوي أمريكي أنزل العتاد قريبا من الخطوط الأمامية في شبه جزيرة سيناء؟ أو كيف يمكن تفسير

القطار الجوي الأمريكي الذي حمل قنابل ذكية أثناء حرب تموز/ آب ٢٠٠٦م على لبنان، أو موافقة إسرائيل على قبول قوات دولية على الحدود في جنوب لبنان في نهاية حرب تموز/ آب ٢٠٠٦م لتساعد على المحافظة على أمن إسرائيل؟

١١) **لن يكون حل سياسي مع العرب:** يؤمن أغلب القادة التاريخيين للمشروع الصهيوني في فلسطين أنه لن يكون هناك حل سياسي مع العرب، ويحمل هذا الرأي في طياته المنطق الذي تحمله فكرة (يجب علينا الاحتفاظ باستمرارية الصراع) نفسه؛ لأنه لو حدث سلام مع العرب لتوقف الصراع. ليس هناك دوافع إنسانية لهذا الطرح حين نفترض أن الإنسان في طبيعته يحب الخير، ربما يعود هذا إلى اعتراف ذاتي عند زعماء المشروع الصهيوني لما ارتكبوه من جرائم وهضم حقوق الآخرين[٢٨]. وهذا يشير إلى أن موافقة بيرس على مبادرة أوسلو ١٩٩٣م- وهو القائل: "إن السلام لن يحل مع العرب، لأنهم لن يقبلوا أي حل وسط"- كانت خطوة تكتيكية أو ربما خدعة سياسية للحصول على توقيع ياسر عرفات للتنازل عن الثوابت الفلسطينية التي من بينها حق العودة إلى الديار، واستعادة الحقوق المغتصبة بقوة السلاح والقرصنة، والتمسك بالقدس عاصمة للدولة الفلسطينية، فحين رفض عرفات التوقيع- في مؤتمر كامب ديفيد تموز ٢٠٠٠م- غيرت إسرائيل التوجه نحوه وانقلب بيرس- الذي دأب على مصافحة ياسر عرفات ووصفه بالإيجابية- ليصبح من أكبر المطالبين بالقضاء عليه[٢٩]. هناك من وجه انتقادات لهذا الطرح مثل ما كتبه أبراهام بورغ (٢٠٠٧م) وما كتبه ليف غرينبرغ (٢٠٠٧م).

١٢) **يقبل العرب السلام إن تيقنوا أن إسرائيل قوية عسكريا:** مع أن زعماء المشروع الصهيوني لا يقبلون السلام مع العرب، إلا أنهم يرون حالة واحدة يمكن أن يقبل بها العرب السلام مع إسرائيل، وهي حين يتم فرضه عليهم بقوة السلاح، أي حين يقبلون إملاءات إسرائيل ويضعون أنفسهم في خدمة مشاريعها[٣٠]. هذا الموقف مرتكز على رفض للسلام الطبيعي الدائم، ولا يعكس قيما إنسانية وأساليب تعامل بين البشر

فحسب، بل ربما ينظر إلى العرب بأنهم ليسوا بشرا. ويستمر هذا الطرح، ويتحدثون عنه صباحا ومساء، رغم قيام العرب بإثبات عكسه على ساحة الواقع، وأنهم قادرون للتعامل مع إسرائيل وفرض إرادتهم عليها، ولو كان الأمر جزئيا.

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م مباشرة رفض العرب، من منطلق الضعف والهوان، سلاما مع إسرائيل، وتمحور موقفهم حول لاءات الخرطوم الثلاث (لا صلح، ولا اعتراف، ولا سلام مع إسرائيل)، وبدأ أنور السادات التفكير نحو عقد سلام مع إسرائيل على إثر حرب العاشر من رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣م، طارحا شعاره الشهير "نحن خارطة الشرق الأوسط وليست إسرائيل"، بعد أن حقق الجيش المصري على ساحة المعركة انتصارات بعبوره قناة السويس، وتحطيمه خط بارليف، وتحرير الضفة الشرقية من قناة السويس بقوة السلاح. وهناك من رأى بهذا، ولو جزئيا، تطبيقا لشعار عبد الناصر الشهير: "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة."

١٣) **على إسرائيل الاستعداد دائما للحرب:** يشير تحليل معين للحروب التي شاركت فيها إسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧م إلى عقم هذا المبدأ؛ لأن تطبيقه صعب، إن لم يكن مستحيلا. الاستعداد للحرب طيلة الوقت مهمة صعبة تتطلب كثيرا من الطاقات الذهنية والبشرية والمادية، ولا تستطيع إسرائيل تَحَمّلها بسبب محدودية مواردها البشرية والطبيعية. وحين هاجمت مصر وسوريا إسرائيل في العاشر من رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣م لم تكن إسرائيل مستعدة، وربما للاعتقاد عند قادة إسرائيل أن العرب لن يجرؤوا على محاربة إسرائيل[٣١]. ولم تكن إسرائيل مستعدة لحرب تموز/ آب ٢٠٠٦م على لبنان رغم أنها هي التي بادرت لها. عزا معلقون عسكريون عدم استعداد إسرائيل لتلك الحرب إلى أسباب عدة من بينها الانتفاضة الفلسطينية الطويلة التي استنزفت الجيش الإسرائيلي، وعدم تمكن القادة في إسرائيل من قراءة الخارطة الإستراتيجية في المنطقة بشكل صحيح.

١٤) **على إسرائيل محاربة أعدائها على جبهة واحدة**: ربما يشكل هذا اعترافا ذاتيا بمحدودية قوة إسرائيل العسكرية، ربما يعود هذا إلى افتراض إسرائيل الطرف الحاسم في كل حرب تقع مع الجانب العربي، لذلك حتى لو أراد قادة إسرائيل فرض مثل هذا فلن يقتصر الأمر على قرارهم. وقد أثبت العرب خلال عشرات السنوات قدرتهم على فرض مكانتهم على الساحة العسكرية، فبادروا بحرب العاشر من رمضان/أكتوبر ١٩٧٣م، وكانت على جبهتين. وحاربوا في تموز/ آب ٢٠٠٦م إسرائيل على ثلاث جبهات: الجبهة اللبنانية، والجبهة الفلسطينية (قطاع غزة)، والجبهة الداخلية الإسرائيلية إذ نجح حزب الله، ومن قبله الفلسطينيون، في نقل الجبهة إلى العمق الإسرائيلي[٣٢].

١٥) **يجب أن تكون الحرب قصيرة وحاسمة:** حين فكر زعماء إسرائيل بهذا المبدأ أخذوا بالاعتبار القدرات الاقتصادية والبشرية المحدودة، والمساحة الجغرافية الصغيرة لإسرائيل. يشكل هذا بحد ذاته نقطة ضعف في الجانب الإسرائيلي، ومن الطبيعي أن يركز عليها مخططو الحروب مع العرب، فجيش إسرائيل يعتمد بأساسه على قوات الاحتياط، ولا يتحمل الاقتصاد الإسرائيلي غياب أيد عاملة مدة طويلة عن العمل والإنتاج. وفيما يتعلق بحسم المعركة اعتقد القادة التاريخيون للمشروع الصهيوني أن التفوق الكيفي بالأسلحة والاعتماد على سلاح طيران قوي كافيان لحسم المعركة لصالح إسرائيل، وهذا ما ثبت عقمه بشكل واضح في حرب لبنان الأولى (١٩٨٢-٢٠٠٠م)، وحرب الانتفاضة الفلسطينية الأولى (١٩٨٧-١٩٩٣م)، وحرب الانتفاضة الثانية (٢٠٠٠م)، وحرب لبنان تموز/ آب ٢٠٠٦م التي دخلت إسرائيل فيها بفرضية أنها لن تدوم أكثر من خمسة أيام، إلا أنها استمرت ٣٣ يوما[٣٣].

١٦) **نقل المعركة إلى أرض العدو:** يفترض هذا المبدأ أن أرض دولة إسرائيل صغيرة، ولا تستطيع أن تكون ساحة قتال للجيوش النظامية، ولذا يجب على الإستراتيجيات الحربية تحقيق نقل المعركة إلى أرض العدو.

كان هناك فشل في تحقيق هذا المبدأ في حربين من ستة خاضتها إسرائيل: في الانتفاضة الثانية نجح الفلسطينيون في نقل الحرب مع إسرائيل إلى داخل المدن والمستوطنات الإسرائيلية، وفي حرب تموز/ آب ٢٠٠٦م نقل حزب الله المعركة إلى قلب الدولة العبرية، الأمر الذي أجبر أكثر من مليون شخص ترك مستوطناتهم، أو الاختباء في ملاجئ غير معدة، وقذرة، مدة ٣٣ يوما.

تصريح أهود باراك في آب ٢٠٠٧م بأن النصر يجب أن يتحقق على أرض العدو، وبأقل الأضرار على الجبهة الداخلية الإسرائيلية، هو إعادة ترديد لهذا المبدأ الذي لم يعد تطبيقه عمليا[٣٤]. وقد يعود هذا إلى تصريحات استهلاكية، أو إلى استمرار تجاهل وجود الطرف الثاني وقوته، أو إلى عدم فهم قراءة الخارطة الإستراتيجية في المنطقة من جديد.

١٧) **ليس أمام إسرائيل إلا الانتصار:** يرتكز هذا المبدأ على فرضيات، من بينها: - إذا خسرت إسرائيل مرة واحدة فقدت كل شيء، حتى الوجود. - إسرائيل قوية وستبقى. - إن العرب ضعفاء وسيبقون، ولن يستطيعوا الحصول على قوة لهزيمة إسرائيل.

التجارب التي مرت بها إسرائيل منذ حرب حزيران ١٩٦٧م أثبتت وبشكل قاطع أنها لم تنتصر- ولو مرة واحدة- بل إن هناك رأيا سائدا يقول: إن إسرائيل انهزمت في حرب تموز/ آب ٢٠٠٦م. وللخروج من هذا المأزق ولتسجيل انتصارات، ولو كانت افتعالية، بذل الجنرال موشيه ديان جهدا لجر العرب لحروب دون أن يكونوا مستعدين إلى مواجهات تحقق إسرائيل بها انتصارات[٣٥]. لكن الرياح لا تجري بما تشتهي قيادة إسرائيل، فما حدث في حرب تموز/ آب ٢٠٠٦م أن إسرائيل لم تنتصر فقط، ولكنها هُزِمت. وكشف استطلاع "مقياس السلام" في إسرائيل أن أغلب الإسرائيليين اليهود يؤيدون الرأي الذي يقول إن حزب الله قد انتصر في الحرب[٣٦]: ويعتقد ٥٢٪ أنه نتيجة

الحرب لم يتغير أي شيء في إسرائيل، أو أنها ضعفت عسكريا. وفي المقابل يرى ٤٤٪ منهم أن قوة حزب الله قد ازدادت، و٢٨٪ لم يتغير به شيء، و٥,١٨٪ أنه ضعف.

١٨) **وجوب تطوير سلاح نووي:** يؤمن زعماء إسرائيل التاريخيون- حين عملوا جهدا كبيرا للحصول على مفاعل نووي من فرنسا في نهاية خمسينيات القرن العشرين، وتطوير قنابل نووية- أن الهدف من وراء هذا هو المحافظة على بقاء وجود دولة إسرائيل. ولكن هذا التفكير- ولطبيعة المنطقة من الناحية الجغرافية السياسية والإنسانية- يواجه صعوبات كثيرة، فالعرب يحاربون حروبا لا تسمح، وربما لا تتيح المجال لإسرائيل استعمال السلاح النووي، ولو كان الأمر تكتيكيا؛ لأن هناك قواعد وأسسا لاستعماله، وكثير من دول العالم، وخاصة الدول الكبرى، لن تسمح بمثل هذا التطور إذا كان الهدف الحفاظ على السلم والأمن الدولي. زيادة على هذا، إذا استعمل ضد لبنان أو سوريا سيأتي بضرر كبير على إسرائيل وعلى سكانها، فمصادر مياهها من سوريا ولبنان، والمسافات قصيرة لوصول الإشعاعات النووية. وتبين أيضا أن هناك علامة سؤال في جدوى قيام إسرائيل بإعلان امتلاكها سلاحا نوويا كما صرح به أولمرت عام ٢٠٠٧م إذا كان الهدف إعادة مكانتها في الخريطة السياسية العالمية، أو إعادة عامل الردع الذي ضرب قويا في الانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية وفي حرب تموز/ آب ٢٠٠٦م على لبنان.

١٩) **يجب التحكم بالمواطنين العرب:** المواطنون العرب في نظر أغلب القادة التاريخيين للمشروع الصهيوني خطر أمني على المشروع، وعلى طموحات الحركة الصهيونية. يرونهم مقيمين في هذه البلاد وليسوا مواطنين مرتبطين تاريخيا وقانونيا وثقافيا بهذا الوطن. وتتجاهل إسرائيل في خرائط التخطيط القومي وجودهم الحيزي كما ظهر في خريطة التطوير القومية(تاما ٣٥).

رغم أنهم يمثلون ١٨٪ تقريبا من السكان في إسرائيل، إلا أن إسرائيل تنتهج سياسية التحكم بالمواطنين العرب وانتزاع الحقوق الأساسية بفرض حكم عسكري، وبعد إلغائه

استبدل بجهاز المخابرات العام (الشاباك)، وتطبيق قانون الطوارئ الانتدابي ١٩٤٥م الذي يحتوى على كثير من البنود الظالمة المنتهكة لحقوق الإنسان، وحاولت التخلص منهم في سنوات الخمسينيات، وحاولت- وما زالت تحاول- هندسة الإنسان الخنوع الذليل المستسلم والمتنازل عن حقوقه الأساسية، وتنفذ سياسة التطهير العرقي التدريجي التي كُشِف عن قواعدها في وثيقة يسرائيل كيننغ التي نشرت عام ١٩٧٦م، وكان من أبرز واضعيها تسيفي ألدروتي[٣٧] إلا أنها فشلت في هذا.

لن يتحمل الموطنون العرب استمرار التحكم والسيطرة عليهم باستعمال قوانين عنصرية من المتوقع أن تزداد وفق ما يقوله أبراهام بورغ، ورغم تجريدهم من كثير من عوامل التمكين انتفض المواطنون العرب، وطالبوا بالمساواة والحقوق الأساسية الكاملة. بعد حرب رمضان عام ١٩٧٣م، وانتشار الهوية الجماعية الفلسطينية في السبعينيات، انتفض العرب بكل عنفوان للدفاع عن حقوقهم الأساسية التي انحصرت في الدفاع عن الأرض بعد أن قامت إسرائيل بمصادرة أراض في الجليل والمثلث والنقب. وتشكلت لجنة الدفاع عن الأرض، وأعلن٣٠ آذار عام ١٩٧٦م إضرابا شاملا للدفاع عن الأرض، سُمِّي يوم الأرض، لتصنع حدثا مهما أصبح فيما بعد عيدا وطنيا لجميع الفلسطينيين.

وللمقارنة، حين قامت إسرائيل بحملات مصادرة في الخمسينيات والستينيات لم تكن هناك هبة جماهيرية عارمة للدفاع عن الأرض[٣٨]. وما حدث كان حلقة في تطور طبيعي، ما زال يأخذ حيزه حتى اليوم. فشاركوا، وكانت مشاركتهم مهمة وأساسية في أكتوبر٢٠٠٠م في النشاطات الاحتجاجية ضد دخول شارون الاستفزازي للمسجد الأقصى، واستشهد منهم ١٢ مواطنا (تبين أن الشهيد الـ ١٣ هو من سكان دير البلح، استشهد وهو يشارك في المظاهرة في مدخل مدينة أم الفحم)، وطرحوا مشاريع واقتراحات للتقدم في السنوات الأخيرة بعد أن شعروا أنهم أكثر قوة مما كانوا قبل سنوات. نمت عندهم طبقة وسطى، وأصبحوا اليوم يطالبون بشكل حضاري وعلمي أكثر، ويتواصلون مع العالم الخارجي عبر مؤسسات وجمعيات فاعلة، ويحصلون على

الدعم المادي. وحدث انتقال نوعي في السنة الأخيرة عندهم: لم يعودوا يطالبون الدولة بالمساواة فقط، بل يحددون السبل كيف التوصل إلى هذه المساواة. وتعبر الوثائق الخمس- (التصور المستقبلي، وثيقة مساواة، وثيقة عدالة، وثيقة اتجاه، وثيقة مدى الكرمل) التي نشرت في ٢٠٠٦م و٢٠٠٧م- عن نقلة نوعية في قيام المواطنين العرب أخذ أمورهم بأيديهم. وهذا يشير إلى استعدادهم للتحدي، وهو ما يقلق القادة في إسرائيل. فالحملة ضد عزمي بشارة، زعيم حزب التجمع الوطني الديمقراطي في البلاد، في نيسان ٢٠٠٧م، وإجباره على البقاء خارج الوطن، ومحاولة تمرير قانون في الكنيست في النصف الثاني من شهر آب ٢٠٠٧م يخول الشرطة بناء صندوق معلومات عن كل مواطن يتم التنصت عليه، ومراقبته عن طريق وسائل الاتصالات الإلكترونية، مثل الجوال والبريد الإلكتروني، وتحديد مكان وجوده في أي لحظة ممكنة، ما هو إلا رد فعل السلطة في إسرائيل على الاستيقاظ العربي في البلاد. وربما لأول مرة منذ إقامة دولة إسرائيل يتم اتهامهم كمجموعة قومية في نظر السلطات. وهذا يجعل من إسرائيل في حقيقة الأمر دولة بوليسية ليس لها مثيل في العالم، وهو انتهاك لحقوق الإنسان وخصوصيته، ويعبر عن هوس، يلم بالقادة في إسرائيل، يعكس عدم شعورهم بالأمن والأمان[٣٩].

الواقع يختلف عن تمنيات زعماء الحركة الصهيونية

يعيش الإسرائيليون واقعا صعبا لم يعهدونه منذ إقامة دولتهم عام ١٩٤٨م، وإن بدا الأمر على السطح مغايرا، وقد يكون هذا بفضل حملات دعائية وهمية. شعر الإسرائيليون اليهود بعد ثلاثة عقود من قيام الدولة بعدم ملاءمة عقيدتهم الأمنية لتطور الأحداث في المنطقة، حتى تلك التي تجري داخل الدولة، وحتى فشلها في تحقيق أبرز الأهداف التي وضعتها الحركة الصهيونية، وهي خلق دولة لليهود في فلسطين، يعيش فيها اليهود بأمن وأمان ارتكازا على قوة الحسم العسكري وفرض واقع استيطاني على العرب الفلسطينيين.

كشف استطلاع نشر في أيلول ٢٠٠٧م أن ٧٢٪ من الإسرائيليين يرون الوضع الأمني في إسرائيل "سيئا"، و٦٣٪ أن أمنهم الشخصي "سيئ"[٤٠]. وأظهر مقياس الديمقراطية الذي نشره مركز الديمقراطية في القدس أن ٧٩٪ منهم قلقون من وضع الدولة العبرية[٤١]. ويعترف أهود باراك، وزير الدفاع الإسرائيلي، في آب ٢٠٠٧م بفشل العقيدة الأمنية ولو بشكل ضمني، حين يقول: إن إسرائيل "بحاجة إلى خطة بناء لقوتها العسكرية توفر لها قدرة الردع"[٤٢]. وعندما يقترح باراك خطوات عملية لتطبيق ما يريده يرد عليه الصحفي عوفر شيلح- أحد المتخصصين الكبار في شؤون الأمن في إسرائيل- قائلا[٤٣]: "ما أتى به باراك لم يكن مفاهيم وقواعد أمنية، وإنما قائمة مشتريات تشبه تلك التي يكتبها من يذهب لشراء أغراض من الدكان"[٤٤]. وأضاف شيلح: "قسم مما تحدث عنه باراك من الصعب تطبيقه من الناحية التكنولوجية والعملية".

ما يفكر بعمله باراك لم يكن أمرا جديدا على الساحة الإسرائيلية، فقد أمر شاؤول موفاز حين كان وزير دفاع في حكومة شارون الثانية بتشكيل لجنة مهنية برئاسة وزير القضاء السابق دان ماريدور لتقييم العقيدة الأمنية، وإعادة صياغتها من جديد.

متابعة للتحليلات المختلفة في إسرائيل نرى أن من بين دوافع هذا التوجه انعدام القيم الإنسانية في الثقافة السياسية بشكل عام، وثقافة العقيدة الأمنية بشكل خاص، وعدم وجود قيادة سياسية ناضجة مخططة تقيس الأمور بشكل موضوعي وعلمي.

يقول المعلق العسكري لصحيفة معاريف عامير ربابورت، محللا دور الجيش في تحديد الرؤية الأمنية المستقبلية في إسرائيل حتى سنة ٢٠١٣م: "لو كنا نعيش في دولة سليمة (מתוקנת) لكانت الحكومة هي التي تضع المبادئ الأساسية للجيش، وكان عليه السير وفقها في تحديد برامجه بعيدة المدى"[٤٥]. ويقول عضو الكنيست د. جمال زحالقة: إن ما تقوم به القيادة الإسرائيلية حاليا لإيجاد حل سلمي في المنطقة هو "إفكا" وليس "أفقا" سياسيا[٤٦]. وعندما يحظى الجيش بهذه المكانة، فأي حدث متعلق به ينعكس كاملا بطريقة أو بأخرى على مختلف المجالات في الدولة العبرية.

هلامية الجيش الإسرائيلي [٤٧]

نهتم كثيرا بجيش إسرائيل؛ لدوره المركزي الأساسي متعدد الاتجاهات، إلى حد القول: في إسرائيل- دون غيرها- جيش له دولة، وليس: دولة لها جيش. وحين يُمَسُّ الجيش، أو يحدث أمر مرتبط به، توضع عناوين كبيرة في وسائل الإعلام الإسرائيلية. ومع كل ما يحصل عليه، يثبت الجيش مع الوقت تعثرا في كثير من المجالات الأساسية.

كتب المعلق العسكري في صحيفة يديعوت أحرونوت (عوفر شيلح) كتابا عام ٢٠٠٣م تحت عنون "الصينية والمال- لماذا هناك ضرورة لثورة في الجيش الإسرائيلي"، حدد فيه ما يلي: إن مكانة الجيش القيمية في إسرائيل قد انخفضت ولم تعد كما كانت من قبل، فما تميزه عنتريات عسكرية وتبذير اقتصادي، وتحجر ذهني، وانعدام التخطيط، وعدم تحديد أهداف واضحة، وابتعاد عن المهنية، فقد أصبح قواتَ شرطة في المناطق المحتلة، ولم يعد بمقدوره ملاءمة نفسه مع المتغيرات التي تعصف بالمجتمع اليهودي، وهو يتسلح بأحدث الأسلحة إلا أنه متمسك بمبادئ قديمة. وحين يطلب من الجنود الدفاع عن حدود الدولة لا يعرفون أين تقع تلك الحدود. وخروجا من هذا المأزق يطالب الكتاب بوقف التجنيد الإجباري؛ لأن الجيش لم يعد جيشا للشعب كما يدعون في إسرائيل، ولم يعد المجتمع قادرا لتحمل ميزانية الدفاع التي يمليها الجيش كل سنة.

كان أصعب ما حدث في السنوات الأخيرة والذي بدأ بالتحديد منذ حرب العاشر من رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣م، فكان كسر صورة الجندي الإسرائيلي بأعين الإسرائيليين أنفسهم وعين الآخرين، وخاصة بعد عشرات السنوات من جهود الدعاية الإسرائيلية ترسيخ صورة الجندي الإسرائيلي المغوار الذي لا يمكن قهره وهزيمته، ويعمل وفق عقيدة عسكرية منيعة، ويحسم المعارك في وقت قصير.

في الوقت ذاته حاول حكام إسرائيل نشر "ثقافة الهزيمة عند العرب" وترسيخها، بانين على مفاهيم استشراقية تعتبر تخلف العرب أمرا ثقافيا، بمعنى أنه من الصعب، بل

من المستحيل إصلاحه كما يرى دعاة هذا النهج، مثل برنارد لويس وغيره في الأوساط الأكاديمية الإسرائيلية.

في المقابل، ومنذ البداية، حاول العرب بناء ثقافة التحدي والصمود والانتصار وتطويرها ونشرها على أصعدة مختلفة، بدأها الشعب الفلسطيني كاملا برفض المشروع الصهيوني حين عارض وعد بلفور، وبثورته على الاحتلال البريطاني والهجرات اليهودية إلى فلسطين في الثلاثينيات، وبرفض تداعيات النكبة عام ١٩٤٨م، وبرفض محاولات حكومات إسرائيل طرد الفلسطينيين من بلادهم في الخمسينيات، فأقيمت اللجنة الشعبية في الجليل والمثلث، وأقيمت "حركة الأرض"، ومن بعد ذلك أقيمت منظمة التحرير الفلسطينية التي أبدع مقاتلوها يدا بيد مع وحدات من الجيش الأردني في مواجهة إسرائيل في معركة الكرامة في آذار ١٩٦٨م، والتي استمرت ١٦ ساعة خرج منها الفلسطينيون بنشوة النصر، وما تزال المنظمة رافعة راية النضال من أجل استرداد الحقوق الأساسية. وتبع الشعب الفلسطيني الشعبُ المصري حين رفض استقالة الرئيس جمال عبد الناصر غداة حرب حزيران ١٩٦٧م، ثم تبعها الرئيس عبد الناصر ببدء حرب استنزاف ضد إسرائيل، تبعتها مصر وسوريا بشن حرب العاشر من رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣م، ثم تبعها الفلسطينيون ببدء انتفاضتهم الأولى ١٩٨٧-١٩٩٣م، ثم الحرب اللبنانية من ١٩٨٢-٢٠٠٠م التي انتهت بانسحاب إسرائيلي سريع تتوج بخطاب حسن نصر الله في مدينة بنت جبيل في أيار ٢٠٠٠م حين رفع شعار "إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت"، أتت بعدها الانتفاضة الفلسطينية الثانية ٢٠٠٠م-، ثم حرب تموز ٢٠٠٦م على لبنان التي تحتوي في تطوراتها أمثلة كثيرة سوف نستعرضها لاحقا تثبت ضعف الجيش الإسرائيلي وهلاميته.

ما قاله أهود باراك وزير الدفاع الإسرائيلي في شهر آب ٢٠٠٧م من أن الجيش لا يملك قدرات ردع لأعدائه هو مؤشر على ضعف الجيش وهلاميته. وما يزيدها أو ربما يجذرها هو أن الجيش- واعتمادا على اعتراف باراك نفسه- يعمل اليوم في إسرائيل في

بيئة ضغائن وتصارعات، حين يقول: "انقلب الجيش الإسرائيلي تدريجيا من جيش الشعب إلى جيش نصف الشعب... يجب أن لا يشعر الجندي الذاهب إلى أرض المعركة أنه مستغَل في نظر قسم من الشعب... لا يمكن أن يحارب الجندي ويتقدم في أرض المعركة إذا كانت الضغائن في الجبهة الداخلية، في الخلف. يستطيع المجتمع- الذي يعيش في خطر يهدد وجوده- البقاء عندما تعرف كيف تحترم المدافعين عنه." وانتقد التوجهات في المجتمع الإسرائيلي التي تنزع الشرعية من الخدمة العسكرية. علق الصحفي يوئيل ماركوس قائلا: "حتى سنوات السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي كانت الخدمة العسكرية شرفا... لكن في السنوات الأخيرة هناك كثير من الوسائل التي تساعد على التهرب من الخدمة"[٤٨]. وحين انتقد الجنرال غابي أشكنازي- رئيس أركان الجيش الإسرائيلي- الهاربين من الخدمة في إسرائيل اليوم، ووصفهم بأنهم "لا يخجلون من هذا... وعليهم طأطأة رؤوسهم"، رد عليه أحد الضباط الإسرائيليين (ينيب إيتسيكوفيتش) في مقال، سنقتبس منه شيئا لأنه يفسر الدوافع التي تجعل الجندي يرفض الخدمة في الجيش، وهي ظاهرة منتشرة في الربع الأخير من عام ٢٠٠٧م[٤٩]: "أنا يا سيادة الجنرال لن أطأطئ رأسي رغم أنني رفضت الخدمة في الجيش بعد خدمة أربع سنوات في وحدة قتالية، وأربع سنوات في الاحتياط؛ لأن الهاربين الحقيقيين هم منتخبو الناس الذين لم يحددوا هدف القتال ولا مهمات الدفاع عن حدود الدولة، وغبر حدود الدولة... الهروب من الجيش دال لمستوى المعنويات التي هي بنفسها دالة للانتماء... نضحي حين نعرف ماذا يريد مجتمعنا عمله ونؤمن بعدالة الهدف، ونعرف أين تسير الأمور... في إسرائيل اليوم لا يعرف أحد إلى أين نسير ما هي أهدافنا، ما هي حدود الدولة، ما هي صبغتها... وهل إسرائيل مستعدة لدفع ثمن السلام، أم إنها تريد البقاء بالقوة... الشاب اليهودي المقبل على التجنيد يرى فوضى كبيرة: أناسا ينتهكون القيم الديموقراطية في المناطق المحتلة، وعليه حمايتهم." وفي آخر الرسالة يوجه سؤالا إلى قادة

إسرائيل: "إذا أردتم البقاء في الخليل، قولوا لنا: نعم، ويجب التضحية من أجل هذا، إذا أردتم الانسحاب من هناك، انسحبوا."

وفي الفترة الأخيرة بدأت تنشر في إسرائيل أخبار تعكس تصرفات سلبية في الجيش، وقد تعمق صورا سلبية عن الجيش بنظر الإسرائيليين. تحدثت أخبار عن وجود "أعمال اغتصاب" في الجيش لدرجة أنه أقيمت وحدة لمكافحة الاغتصاب[٥٠]. وأدت ممارسات الجيش بعد تسلم باراك وزارة الدفاع إلى زيادة في قتل الأطفال الفلسطينيين، إلى درجة جعلت الكاتب الإسرائيلي غدعون ليفي يصف الجيش الإسرائيلي بـ "جيش قاتل الأطفال"، إذ يشير إلى أن نسبة الأطفال من بين الضحايا الفلسطينيين كانت الخُمْس قبل سنة، أما خلال الأسبوعين الأخيرين من شهر آب ٢٠٠٧م فقد بلغت الربع[٥١]. ونشر في إسرائيل في آب ٢٠٠٧م- على إثر تقرير منظمة الصحة العالمية التي أقرت أن صخبا يتعرض له الإنسان مدة طويلة قد يؤدي إلى أن يصاب بسكتة قلبية، وانفجار دماغي، وارتفاع ضغط الدم- أن الجيش الإسرائيلي يساهم في هذا الأمر بشكل واضح. وكشف البروفسور ستيليان غلبرغ- من وزارة المحافظة على البيئة في إسرائيل- أن ٧٠٪ من الإسرائيليين يعانون من صخب مستمر، يعود قسم منه بالتحديد إلى صخب الطائرات العسكرية، وخاصة هؤلاء الذين يسكنون قرب مطارات عسكرية[٥٢].

ظهر الجيش الإسرائيلي على ضعفه بارتكاب جرائم خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية: مجزرة مخيم جنين، وقتل محمد الدرة وهو جانب والده الذي صرخ لينقذ ابنه، وتحدي الطفل الفلسطيني فارس عودة دبابة إسرائيلية عند معبر المنطار في غزة وهو يقف أمامها حاملا الحجر ويرميه عليها، وقد استشهد فارس عودة بعد ثمانية أيام من التقاط الصورة التي ملأت الأرض، وتُعَلَّق بارزة في صدر صالونات بيوت الفلسطينيين بتاريخ ٨ تشرين ثاني ٢٠٠٠م، وأحداث مماثلة خلال حرب تموز ٢٠٠٦م على لبنان، وكان من أبرزها مجزرة قانا الثانية، إذ قصفت الطائرات الإسرائيلية بيتا لتقتل عشرات اللبنانيين،

أغلبهم من الأطفال والنساء. يقول د. إسحاق منيربي: "الصور الصعبة من قرية قانا كان لها ضرر كبير على إسرائيل"[٥٣]

حرب تموز- آب ٢٠٠٦م كشفت أزمة حادة في الجيش الإسرائيلي

مما ترك أثره الكبير على سمعة الجيش بين الإسرائيليين، وهو ما ساعد- في نهاية الأمر- إلى تدهور مكانة الجيش الذي يلعب مكان الصدارة في تحديد معالم العقيدة الأمنية الإسرائيلية، والذي بدونه- كما حدد بن غوريون- لا استمرار لوجود دولة إسرائيل. نستعرض فيما يلي عديدا من الأمثلة التي شكلت مواصفات معينة حدثت في حرب تموز- آب ٢٠٠٦م، وتناقلتها وسائل الإعلام العبرية:

- **قيادة مترددة:** كشف الصحفي دان مرغليت أن الجيش قد عارض الخروج للحرب حالا بعد عملية الخطف، وطلب الانتظار ليجهز نفسه لهذا، إلا أن قادته ترددوا في تحديد موقف حاد في اجتماع الحكومة التي أقرت الخروج للحرب بعد الخطف بساعات[٥٤].

- **قيادة متناقضة:** بعد أن صرح أهود أولمرت في نهاية أكتوبر ٢٠٠٦م أن الجيش تعلم الدروس، وهو الآن في حالة جيدة لمواجهة التهديدات القادمة، عارضه أفرايم سنيه- نائب وزير الدفاع في إسرائيل- حين قال: "كشفت الحرب صعوبات عميقة جدا، تتطلب سنوات حتى يتم إصلاحها. نحن نتحدث عن مفاهيم... نحن نتحدث عن سنوات لم يقم الجيش بالتدريب"[٥٥]. وعلى مستوى آخر كشفت الحرب تضاربات، فبعد أن عَيَّن عمير بيرتس- وزير الدفاع- لجنة أخصائيين لفحص ما حدث في وزارة الدفاع والأمن برئاسة الجنرال المتقاعد أمنون لبكين شاحاك، واجتمعت اللجنة اجتماعها الأول، أمر أولمرت- دون ذكر الأسباب- بوقف عمل اللجنة[٥٦].

- **بطء في التفكير:** حارب الجيش الإسرائيلي حربا حقيقية مدة ٣٣ يوما، ولم يحسم تسميتها- حربا كانت أم مجرد عمليات عسكرية- إلا بعد عدة أشهر، مما دفع الصحفي بن درور يميني أن يسميها حرب "الشلل"[٥٧].

- إدارة فاشلة للحرب: بعد كتابة مكثفة عن الحرب، وغالبا من منطلق الحرص على سمعة الجيش، كتب الصحفي بن درور- يميني- في صحيفة معاريف: "إذا كتب لنا أن تدار معاركنا مثل ما حدث في هذه الحرب فمن الأفضل أن نبدأ في العد التنازلي لوجود دولة إسرائيل[٥٨]. وأكد يوسي سريد فشل القيادة حين كتب: "إذا كانت القيادة السياسية والعسكرية في الحرب وخلالها من النوع المتدني- يتخبطون- بعثوا لبعلبك الوحدة الخاصة لرئاسة الأركان الإسرائيلي، وهي أكثر الوحدات العسكرية مهارة وإقداما في الجيش، يصل عدد جنودها ٢٠٠ جنديا من أجل إحضار حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله فأحضروا حسن نصر الله آخر يعمل تاجر خضار بسيط..."[٥٩].

- غياب قادة حقيقيين في الميدان: يقول الصحفيان ناحوم برنيع وشمعون شيفر[٦٠]: "لم يكن التزود بالبندقية إم ١٦ القصيرة هي المشكلة، وإنما في انعدام الإصرار على القتال عند القادة. فلم يكن هناك قادة حقيقيون في ساحات المعارك، إذ هربت فرقتان (גדודים) من القتال. وهناك حالة هرب فيها الجنود من الميدان، بينما بقي قائد الكتيبة وحده في الميدان مع دبابته الوحيدة. في حالة أخرى لم يدخل قائد الكتيبة إلى المعارك في لبنان في وقت كانت كتيبته تواجهها قوات حزب الله." ويعترف دان حالوتس- رئيس الأركان- أن للجنود العاديين أربعة ادعاءات: عدم ثقة بالضباط، ولم يتم تدريبهم وإعدادهم للحرب، ولم يتم تجهيزهم للحرب، والأوامر تغيرت في أوقات قصيرة.

- تلاعب بالنار وازدياد الخوف: وصل الأمر بالجيش الإسرائيلي إلى حد أن الجنود الإسرائيليين في القرى اللبنانية كانوا يخافون من الدبابات الإسرائيلية حين يسمعون صوته،، خوفا من أن تقوم هذه الدبابات بقصفهم[٦١].

- عدم وجود انضباط: صرح القائد الميداني أمنون أيشل أن قائده- غال هيرش- لا يفهم شيئا في المعارك، وأنه يستثنيه في الحرب، ويتوجه مباشرة إلى قائد المنطقة الشمالية الجنرال أوري أدام، مما دفع الجيش إلى معاقبته بتجميد رتبته العسكرية سنتين[٦٢].

على إثر الحرب التقطت الصحف العبرية وزير دفاع إسرائيل عمير بيرتس وهو ينظر في ناظور مغلق، وأرادت إرسال رسالة واضحة: إنه لا يفقه شيئا في النواحي العسكرية، مؤكدة في نفس الوقت أن ما يعزي الإسرائيليين أن رئيس الأركان الجديد غابي أشكنازي متمرس وقدير. بقي الأمر هكذا حتى نشرت الصحف العبرية على الصفحة الأولى في شهر آب ٢٠٠٧م صورة لرئيس الأركان الإسرائيلي أشكنازي نفسه ينظر أيضا في منظار مغلق، وأصبح السؤال: هل هذا يدل على تدهور مهني في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، أم هي محاولة إعلامية لتقليل قيمة الجيش في نظر الإسرائيليين؟ مهما كان الاختيار بين البدائل فإن الأمر يعبر عن مأزق(٦٣).

مع تراكم هذه التطورات عبر سنوات متواصلة بأن الجيش لم يعد يلعب دورا في حماية أمن إسرائيل، توصل البروفسور ليستر تورو- الاقتصادي العالمي من جامعة M.I.T في الولايات المتحدة الأمريكية- في تقييمه الوضع في إسرائيل إلى أن قيادة إسرائيل قد فشلت في سياساتها العامة، وسيكون انهيارها تدريجيا مشابها لذلك الذي حدث في الاتحاد السوفييتي في أواخر ثمانينيات القرن الماضي(٦٤).

النتيجة: تضعضع في صورة الجيش

ربما من النتائج السلبية طويلة الأمد التي لحقت بالجيش ما ذكره تقرير صحفي بأن "تطور الأحداث والفشل في حرب لبنان ضرب العزة والافتخار عند يهود العالم، وقلل أهمية الجيش الإسرائيلي في أوساط عسكرية وسياسية في الولايات المتحدة"(٦٥)

أما على المستوى الإسرائيلي فإن انخفاض الإقبال على التجنيد للجيش الإسرائيلي في آب ٢٠٠٧م ليكون "أقل دورات التجنيد في تاريخ الجيش الإسرائيلي"، والهروب من التجنيد بعد تجندهم، يشكل مثالا واضحا على تضعضع مكانة الجيش عند الإسرائيليين، وخاصة الجيل الجديد منهم.

وصل الأمر إلى منعطف خطير حين بدأت الشرطة المدنية في إسرائيل تشارك في "تلقيط" الهاربين في الجيش في الشوارع العامة بنصب حواجز، ليصل عدد الجنود الفارين الذين يتم القبض عليهم وتسليمهم للشرطة العسكرية أسبوعيا ١٠ جنود(٦٦). ووصل الأمر أيضا إلى أن عدد المنتحرين في الجيش خلال السنة الأولى من الخدمة عدد ضخم(٦٧). وحدث أيضا انخفاض عام ٢٠٠٧م في الانضمام بنسبة ١٠٪ للوحدات القتالية التي كانت في الماضي أكثر إقبالا عما كان عليه عام ٢٠٠٦م(٦٨). نقل أحد الجنود الإسرائيليين رأي عامة الناس بالخدمة الإجبارية كما يراها نفسه: "يقولون لي لا تخدم في الجيش، الناس يموتون بدون سبب"(٦٩). بالإضافة إلى هذا هناك تطور خطير لم يكشف النقاب عنه في سنوات سابقة وهو متعلق بتجنيد النساء، ويساعد في انخفاض عدد المجندات. صَرَّحت ميري رغاب التي عملت الناطقة الرسمية باسم الجيش الإسرائيلي أن هناك اعتقادا في الجيش بأن النساء لا يفهمن شيئا في شؤون الأمن(٧٠). وفي السنوات الأخيرة هناك زيادة في تأثير المتدينين القوميين داخل الجيش مما يقوي التوجه عند العلمانيين أو غير المتزمتين دينيا لعدم الانضمام للجيش(٧١).

مواجهة ثقافة الهزيمة: التطورات الستة

ما الذي جعل قائدا متميزا مثل الجنرال بني بيلد يوصي أولاده بما ورد آنفا؟ إن تأثير تراكم الأحداث في حرب العاشر من رمضان ١٩٧٣م التي شارك فيها قائدا لسلاح الج، وما أعقبها من انتفاضتين فلسطينيتين وحرب على لبنان ١٩٨٢-٢٠٠٠م قد غيرت مفاهيمه ورؤيته للدولة مكانة وحصانة ومستقبلا. لقد زعزعت هذه التطورات وغيرها عقيدة إسرائيل الأمنية وعقيدتها العسكرية، وكشفت فشل نظرية القوة والاستعلاء وازدراء حقوق الآخرين الأساسية في توفير الأمن والأمان للإسرائيليين.

ترى أعداد متزايدة من الإسرائيليين أنه رغم الميزانيات الضخمة التي يحظى بها الجيش الإسرائيلي والأجهزة الأمنية المختلفة، إلا أنها لم تؤَمِّن "مكانا آمنا لليهود في إسرائيل". وهذا ما يفسر أن أغلب اليهود في العالم لا يعيشون في إسرائيل، ونسبة عالية

من اليهود في إسرائيل تخرج كل سنة، وخاصة في السنوات الأخيرة، وأعداد متزايدة من اليهود تنصهر بشعوب أخرى عبر الزواج المختلط، وكذلك هناك ازدياد ملحوظ في السنوات الأخيرة في عدد اليهود الذين يعلنون إسلامهم.

هدفت نشاطات إسرائيل في مواجهة العرب منذ تأسيسها إلى صنع ثقافة الانتصار والافتخار بها عند الإسرائيليين، وكان الأمر وهميا ومفتعلا في حالات معينة. وفي المقابل سعت إلى خلق وتكريس لثقافة العجز والهزيمة عند الجانب العربي بأنه لا يستطيع تغيير التوازن بين الطرفين، ولن يستطيع هذا. وصلت هذه المحاولات القمة إثر حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م، إذ ادعت القيادة الإسرائيلية أنها انتصرت على ثلاث دول عربية في عدة ساعات، وخلقت بهذا وهما عند الإسرائيليين تَجَسَّد في استعلائهم وازدرائهم للآخرين[٧٢].

كشفت وثائق تشير إلى أن القادة في إسرائيل كانوا يعرفون جيدا أن الجيش المصري لم يشكل تهديدا ملموسا على إسرائيل، إلا أن إسرائيل ادعت غير ذلك، وجعلته تسويغا لضربتها الاستباقية، رغم وصفها الجيش المصري- حينئذ في جلسات مغلقة في هيئة رئاسة الأركان الإسرائيلية على يد حاييم بارليف- بأنه "نمر من ورق".

تبين لاحقا أن تطور الأحداث على الأرض كان يسير عكس ما أراده حكام إسرائيل، فبعد فترة وجيزة من هزيمة حزيران ١٩٦٧م استطاع العرب فرض مواجهات جديدة مع إسرائيل، أحدثت هزة في العقيدة الأمنية الإسرائيلية التي حددها بن غوريون، وخلقت ميزان رعب مع إسرائيل. انتهج العرب في حروبهم مع إسرائيل ثلاثة أساليب قتال، لم يكن لعقيدة الأمن الإسرائيلية أجوبة واضحة على قسم منها: الأسلوب الأول يعتمد على التأييد الشعبي والمقاومة الشعبية، مثل ما حدث في مظاهرات رفض استقالة جمال عبد الناصر في مصر، والانتفاضتين الفلسطينيتين. والأسلوب الثاني تمحور حول استخدام القوات النظامية، مثل ما حدث في حرب الاستنزاف وحرب العاشر من رمضان عام ١٩٧٣م. ويعتمد الأسلوب الثالث على الدعم الشعبي، ومقاتلي حرب

العصابات الذين انتهجوا أسلوب مزج بين الحرب النظامية (الصواريخ القصيرة الأمد والخنادق الحصينة) وتكتيكات حرب العصابات، وأبدعوا في استخدام وسائل الإعلام التي تعد مركز أعصاب لإدارة الحروب المعاصرة[٧٣].

بدأت مواجهة ثقافة الهزيمة بشكل متناسق ومتسع عند العرب بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م حين رفض شعب مصر في مظاهرات كبيرة استقالة الرئيس عبد الناصر، وبعد تصدي الجيش الأردني وقوات المقاومة الفلسطينية للجيش الإسرائيلي في معركة الكرامة في ٢١ آذار ١٩٦٨م في غور الأردن إلى الشرق من مدينة أريحا، حين دفعت إسرائيل ٣١ جنديا قتيلا، بالإضافة إلى مئات الجرحى[٧٤]، إذ زاد على إثرها تأييد الفلسطينيين للمقاومة المسلحة، وزادت روح المقاومة بين صفوفهم، إلا أننا سنكتفي باستعراض تداعيات المنعطفات المتعاقبة التالية على ثقافة عقيدة الأمن الإسرائيلية وتحليلها:

١) حرب الاستنزاف. ٢) حرب العاشر من رمضان/ أكتوبر١٩٧٣م. ٣) حرب لبنان التي شنتها إسرائيل للقضاء على منظمة التحرير فأتت بحزب الله من ١٩٨٢-٢٠٠٠م. ٤) الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧-١٩٩٣م. ٥) الانتفاضة الفلسطينية الثانية ٢٠٠٠م- . ٦) حرب تموز- آب ٢٠٠٦م.

حرب الاستنزاف

بدأت مصر بعد حرب حزيران ١٩٦٧م مباشرة حربا عرفت بحرب الاستنزاف، هدفت إلى: تحدي الهزيمة التي لحقت بها في حزيران ١٩٦٧م، واستنزاف قوة إسرائيل، ورفع معنويات الجيش المصري، وكشف نقاط قوة إسرائيل ونقاط ضعفها، وبدء حملة تمويه من أجل مواجهات قادمة كانت مصر تحضر لها ردا على هزيمة حزيران ١٩٦٧م.

كانت الحرب موجعة للإسرائيليين، إذ شملت تبادلا للمدفعية عبر قناة السويس، وقصف طائرات، وتدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات، وتكبدت إسرائيل خسائر كبيرة، بلغت- وفق أرقام إسرائيلية رسمية- ١٤٢٤ جنديا إسرائيليا، لم يكن يتوقعها زعماؤها

الذين كانوا سكارى مما سموه انتصار حزيران ١٩٦٧م[٧٥]، فقررت إسرائيل بناء خط بارليف الذي سقط بعد عدة سنوات الجيش المصري.

رفعت الحرب معنويات الجانب المصري والعربي، وتعالت أصوات تقول: إن هزيمة حزيران ١٩٦٧م كبوة لا بد من تجاوزها. وبدأت حملة تعبئة للناس بوسائل الإعلام المصرية، وأبرزها إذاعة صوت العرب، وصحيفة الأهرام التي كان وقع المقال الأسبوعي فيها- لرئيس تحريرها محمد حسنين هيكل المقرب للرئيس عبد الناصر- كبيرا على المثقفين العرب.

استطاع الفلسطينيون في خضم الحرب إعادة ترتيب بيتهم، واستطاعت القوى المسلحة، بقيادة حركة فتح، تولي قيادة منظمة التحرير، وأصبح ياسر عرفات، قائد حركة فتح، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وكان لبدء النشاط المسلح الفلسطيني تأثير سلبي على إسرائيل، وتأثير إيجابي على مجمل الفلسطينيين.

حرب العاشر من رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣م

بعد ست سنوات ونيف من حرب حزيران ١٩٦٧م شنت القوات المسلحة المصرية والسورية، في آن واحد، هجوما على القوات الإسرائيلية على الضفة الشرقية من قناة السويس، وعلى هضبة الجولان السورية المحتلة. فتحطم خط بارليف على الضفة الشرقية لقناة السويس، وتكبدت القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة أجبرتها بعد أسبوعين على الاستنجاد بأمريكا، وطلب المساعدة المستعجلة التي أتت- عبر قطار جوي أنزل الأسلحة- مباشرة في أرض المعركة.

أثبتت هذه الحرب أن العرب يستطيعون بدء حرب كلاسيكية بعد نجاح استخباراتي كامل في خلق مفاجأة لإسرائيل. وحين وقعت الحرب كانت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية تناقش احتمالات وقوعها.

أثبتت الحرب أيضا أن الجندي العربي يستطيع تحقيق نصر، وهو قادر على ابتكار وسائل جديدة في الحروب لم تعهدها إسرائيل من قبل، ولم تستطع تحملها لدرجة أن قادتها بدأوا التفكير في اللجوء إلى استخدام ما يقال له عندهم: "سلاح يوم الآخرة" "נשק יום הדין". ولولا الدعم الأمريكي المكثف لكانت نهاية الحرب مختلفة عما حدث بالفعل. وما تقديم استقالات عديد من الزعماء والقادة العسكريين الإسرائيليين- من بينهم رئيسة الوزراء غولدا مئير، ووزير الدفاع موشيه ديان، ورئيس الاستخبارات العسكرية الجنرال زعيرا- وانتحار رئيس الأركان دافيد بن أليعزر، وإقامة لجنة تحقيق دولة برئاسة القاضي أغرانات، إلا مؤشر لإيلام هذه الضربات على المدى القصير والبعيد.

من بين أبرز نتائجها: ضربة عسكرية صعبة وموجعة، ضربت وحدة إسرائيل الداخلية، وهزمت حزب العمل، وأوصلت حزب الليكود إلى الحكم عام ١٩٧٧م لأول مرة منذ قيام إسرائيل، ومن نتائجها أيضا أن العرب بدأوا بالتفكير بمفاوضات سلام مع إسرائيل بعد أن حققوا ما يمكن تسميته توازنا عسكريا إستراتيجيا في ساحة المعركة.

أربكت مبادرة السادات السلمية القيادة في إسرائيل، ووصل الأمر بهم للاعتقاد بأن ما يقوم به السادات هو عملية خداع إستراتيجية، تهدف إلى اغتيال قادة إسرائيل الذين قَدِموا لاستقباله في مطار اللد؛ لأن عقيدتهم الأمنية ترفض السلام مع العرب[٧٦]. وعلى إثر هذه المبادرة حدث انشقاق في إسرائيل بين من يوافق على سلام مع العرب، مثل حركة "السلام الآن"، وبين من يعارض السلام ملتزما بمبدأ وجوب استمرار الصراع مع العرب. وكان لمقولة السادات "نحن خارطة الشرق وليست إسرائيل" وقعٌ على كثير من العرب والفلسطينيين في رفع المعنويات. واستفاد الفلسطينيون من الجو المريح الذي هيأته الحرب بعد أن ظهر أمامهم أن إسرائيل قد ضربت وهزمت، أو أن هزيمتها ممكنة، وانطلقوا لكسب الاعتراف الدولي الذي وصل ذروته بإلقاء ياسر عرفات خطابه- غصن الزيتون وبندقية الثائر- الشهير أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٤م.

نجح الفلسطينيون داخل الخط الأخضر من التأطر، وزاد نشاطهم لاستعادة الحقوق الأساسية، فأقيمت الاتحادات الطلابية في الجامعات الإسرائيلية، وأقيمت الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، وبدأت القوى الوطنية في السيطرة على السلطات المحلية العربية، وكان من أبرز تلك التطورات سيطرة الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة على بلدية الناصرة بعد سنوات طوال من سيطرة ممثل حزب مباي (سيف الدين الزعبي) على تلك البلدية. وقد ساعد هذا التطور الفلسطينيين العرب إلى بداية مرحلة جديدة داخل إسرائيل تميزت بأنهم أصبحوا أكثر استعدادا لتحدي السياسات الظالمة بحقهم، وأكثر تمكينا في مواجهة التطورات المختلفة التي يجابهونها في حياتهم اليومية.

حرب لبنان عام ١٩٨٢-٢٠٠٠م

شنت إسرائيل حربا على لبنان في حزيران ١٩٨٢م بغية تدمير البنية التحتية والتنظيمية لمنظمة التحرير الفلسطينية، والتحكم في حكومة بيروت، وربما فرض توطين أو تهجير على الفلسطينيين القاطنين في مخيمات الشتات في لبنان، والذين يبلغ عددهم حوالي ٣٠٠ ألف فلسطيني؛ لأنهم- لاجئين ينتظرون العودة إلى ديارهم التي طردوا منها- يشكلون خطرا على أمن إسرائيل. ورغم استعمال أساليب كثيرة، ورغم وصول إسرائيل إلى بيروت ومحاصرتها لفترة تقرب من ثلاثة أشهر إلا أنها لم تتمكن من الحصول على أهدافها. فمنظمة التحرير الفلسطينية انتقلت بعد فترة وجيزة إلى تونس، ومن هناك إلى المناطق المحتلة، بعكس ما كان يصبو قسم من الإسرائيليين إلى تحقيقه(٧٧). ومع التخلص من منظمة التحرير في لبنان نشأ على الساحة اللبنانية تنظيم حزب الله الذي جمع بين صفوفه المظلومين في لبنان، وكان أغلبهم من الطائفة الشيعية المسلمة في لبنان، ورفع الحزب منذ البداية هدف مقاومة إسرائيل، ومن يقف وراء إسرائيل، وهي بنظره أمريكا، ولعب دورا في إجبار أمريكا على سحب قواتها من لبنان عام ١٩٨٣م بعد تفجير إحدى البنايات التي كان تسكنها قوات سلاح البحرية الأمريكية، فقتل ٢٤١ جنديا أمريكيا،

ولعب دورا مهما في انسحاب إسرائيل بعد تفجير إحدى البنايات في مدينة صور، إذ قتل عشرات من جنودها ورجال مخابراتها، وبهذا سجل فشلا إستراتيجيا لإسرائيل التي أجبرت على التقهقر والانسحاب من مناطق واسعة من لبنان، وزاد عدد أعدائها كمّاً وكيفا على الساحة اللبنانية والعربية والإسلامية.

بعد ان احتفظت إسرائيل بشريط حدودي بالإضافة إلى مزارع شبعة الإستراتيجية الغنية بينابيعها أُجْبِرت مرة ثانية على الانسحاب في أيار ٢٠٠٠م، بعد مقاومة شرسة من المقاومة اللبنانية، دفعت إسرائيل خلالها ثمنا باهضا، وهناك مفاوضات لإجبارها على الانسحاب الأخير من منطقة شبعة اللبنانية بعد أن أقرت لجنة الحدود في الأمم المتحدة عام ٢٠٠٧م- بخلاف موقف سابق- أنها أراض لبنانية، وليست سورية مثلما ادعت إسرائيل كي تسوِّغ بقاءها في تلك المناطق.

شكل انسحاب إسرائيل- في نظر المقاومة اللبنانية- انتصارا عليها، ولم يختلف معهم في هذا التقييم المتطرفون اليهود من اليمين، والذين اتهموا باراك- رئيس وزراء إسرائيل حينها- بأنه أتى على إسرائيل بهزيمة عسكرية.

عرف باراك أن الجيش الإسرائيلي لا يمكن أن ينتصر على مقاومة في حرب عصابات، وعرف هذا الأمر أيضا قادة المقاومة اللبنانية بزعامة حسن نصر الله، الذي هز العقيدة الأمنية الإسرائيلية في أيار ٢٠٠٠م حين أعلن في خطاب له أن إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت. وكان لهذا التحول تأثير على جيل كامل من العرب بعد أن حاولت جهات عديدة تصوير إسرائيل بأنها دولة قوية في منطقة الشرق الأوسط، وأنها وُجِدت لتبقى، فظهرت الأغاني الملتزمة التحريضية، وكان من بينها ما قدمته جوليا بطرس حين صرخت: "وين الملايين؟".

الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧- ١٩٩٣م

لقد استطاع الفلسطينيون أن يصنعوا من ضعفهم قوة، وأجبروا بذلك حكام إسرائيل على الاعتراف بأنهم رقم صعب في المعادلة، فلن تهنأ إسرائيل بالأمن ما دام الفلسطينيون لا يهنؤون به، وهي بداية الطريق لخلق ميزان رعب معها، والذي وصل مراحل متقدمة في الانتفاضتين الفلسطينيتين ليتم تثبيته في حرب تموز- آب ٢٠٠٦م.

بدأت الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م بعد أن دخلت القضية الفلسطينية صعوبات على إثر انتقالها من لبنان إلى الشتات، وكانت تعبيرا واضحا على أن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي يجب أن تكون من المناطق التي تقع تحت الاحتلال في الأساس. أقيمت قيادة وطنية مشتركة، وارتكز الفلسطينيون في مقاومة الاحتلال على الإضرابات والمقاطعات، واللجوء إلى الحجارة. مثلت الانتفاضة الفلسطينية الأولى (انتفاضة الحجارة) ضربة قوية للعقيدة الأمنية الإسرائيلية؛ لأنها:

١) كشفت ضعف إسرائيل أمام الإنسان الفلسطيني، وخاصة الجيل الجديد الذي وقف متحديا الاحتلال، يحمل الحجر ويواجه الرصاص بصدره. ورسم الفلسطينيون صورة جديدة للصراع.

٢) كشفت سياسات إسرائيل الهمجية- من قتل جماعي، وتكسير عظام- على أنها سياسية احتلال عسكري يسيطر بقوة السلاح على شعب آخر، وليس مثلما تدعي إسرائيل بأن ما يجري هو إخلال بالأمن العام لدولة إسرائيل الديموقراطية. وعلى إثر هذا حدثت تغييرات إيجابية تجاه الفلسطينيين في وسائل الإعلام الغربية، وبدأ تغير نوعي في انتقاد سياسات إسرائيل بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الغرب عامة وأمريكا خاصة.

نجح الفلسطينيون في فرض الخبر على كافة المستويات[٧٨]. فمثلا انتقل الصحفي الأمريكي اللامع (باتريك بوكانين) ذو اللسان السليط، والمرشح من قبل الجهات المحافظة المسيحية في أمريكا للرئاسة الأمريكية، انتقل من معسكر المعادين للفلسطينيين إلى المعجبين بهم، وحدد بوضوح أن الطفل الفلسطيني حامل الحجارة كان السبب وراء تغيير

موقفه. وتطرق إلى هذا الموضوع د. فوزي الأسمر، أحد المحللين الأخصائيين على الساحة الأمريكية، قائلا[٧٩]: "عندما اندلعت الانتفاضة الأولى وجدت إسرائيل نفسها تقف في موقف الدفاع عن تصرفاتها، وتجد صعوبة في تبرير همجيتها وعنصريتها وأعمالها الإجرامية، الشيء الذي فتح نافذة مهمة أمام الشعب الفلسطيني والعربي".

ولا نبالغ إن قلنا: إنه يمكن أن نرى التغييرات التي نلمسها الآن بشكل واسع نتيجة للانتفاضة الفلسطينية الأولى، مثل نشر كتاب جون ميشهيمر وستيف وولتز حول اللوبي الإسرائيلي في أمريكا، وكتاب الرئيس كارتر "فلسطين: سلام وليس تمييزا عنصريا".

وحول تأثيرها على المجتمع الإسرائيلي نقتبس ما يلي:

- كتب الصحفي الأمريكي دافيد هوفمان الذي كان يعمل مراسل صحيفة الواشنطن بوست في البلاد المقدسة ما يلي[٨٠]: "قد يكون من الصعب قياس قدر تأثير الإنتفاضة على المجتمع الإسرائيلي.. ولكن هناك نتائج سياسية ونفسية عميقة والتي تظهر شيئا فشيئا وتظهر على الجيل الجديد من الجنود، الذي أغلبهم يعودون إلى بيوتهم في نهاية الأسبوع ويشاركون أهلهم وأصحابهم هذه المشاعر. استنتاجاتهم سوف ترسم طريق إسرائيل إلى سنوات طويلة قادمة.... من خلال تقييم آخرين فإن الإنتفاضة قد أثرت على الجنود الإسرائيليين أكثر من أي حرب سابقة حتى حرب لبنان عام ١٩٨٢.

- قال رؤوبين غال- عالم النفس الأول في جيش إسرائيل-[٨١]: "كان أكبر اكتشاف في هذه الانتفاضة أن الجنود الإسرائيليين الصغار لم يواجهوا الفلسطينيين من قبل... بعد مواجهتهم توصلوا إلى استنتاج: لا يمكننا التحكم بهم لسنوات طويلة، ونحن لا نريد هذا". وقال: "في أعماق الأعماق الجنود لا يريدون أن يقوموا بدور رجال الشرطة"[٨٢].

-- كتب جندي إسرائيلي- يحمل اسم رون الذي خدم في وحدات خاصة في المناطق- يقول: في الأشهر الأولى كنت ليِّنا، وكانت المرة الأولى التي تسمع صوت الحجارة على سيارتك، هم يكرهوننا كثيرا، تصل إلى استنتاج أنهم لا يحبوننا، عندما تتلقى الحجر الأول يصبح الموضوع شخصيا[٨٣].

-- صرح مصدر رسمي إسرائيلي أن الجيش يطالب بالانسحاب؛ لأنه لا يمكن أن يعمل الجيش مكان رجال شرطة لعشرات آلاف المواطنين[٨٤].

-- صرح الجنرال رحبئام زئيفي- وزير إسرائيلي سابق وقائد المنطقة الوسطى في إسرائيل- بقوله: "فشلنا في معالجتنا الانتفاضة، شباب وأطفال يتحكمون في الشارع ونحن جالسون حائرون لا نعرف ماذا نعمل"[٨٥].

انتفاضة القدس والأقصى- الانتفاضة الفلسطينية الثانية: ٢٠٠٠م -

بدأت الانتفاضة الثانية بعد فشل إملاء الشروط الإسرائيلية على ياسر عرفات في مؤتمر كامب ديفيد في تموز ٢٠٠٠م بعد أن اغتنمت إسرائيل عزلته السياسية إثر حرب الخليج الأولى١٩٩٠/ ١٩٩١م، إذ وقف مع نظام صدام حسين في العراق ولم يستطع قراءة الخارطة السياسية بذكاء، فأتت به إلى المناطق المحتلة في حزيران ١٩٦٧م تُكرِّمه وتزوده بمختلف مواصفات رئيس دولة، وفي النهاية لتطلب منه منح شرعية للاحتلال الصهيوني للأرض الفلسطينية بشكل عام، والتنازل عن الثوابت الفلسطينية بشكل خاص، وبهذا تحصل إسرائيل على الشرعية لما قامت به منذ عام ١٩٤٨م من سلب وقتل وتدمير وتهجير وجرائم أخرى.

لم يكن غريبا أن أول الأعمال التي قامت بها إسرائيل بعد فشل مؤتمر كامب ديفيد- تحت إمرة باراك نفسه- كان تدمير طائرات الهيلوكبتر التابعة للرئاسة الفلسطينية وهي راقدة قرب مكتب الرئيس عرفات في غزة.

تأزم الوضع بشكل كبير، وبعد أن وافق باراك على صعود شارون وحاشيته للحرم القدسي-وربما أنه كان يعرف أن النتائج سوف تكون وخيمة، إذ نُشِرت كثير من التعليقات الصحفية والاستخباراتية- مما أثار حفيظة المسلمين في البلاد، وكانت هبة كبيرة عرفت بهبة أكتوبر، انتقلت إلى جميع المناطق، وعرفت ببداية انتفاضة القدس والأقصى، أو ما يمكن تسميتها بالانتفاضة الثانية.

حين نتحدث عن الانتفاضة الثانية نتحدث في الأساس عن المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي من المناطق المحتلة نفسها، إذ وُجِد عشرات آلاف المسلحين الفلسطينيين ممن يلبسون الزي العسكري الرسمي وممن لا يلبسون، وحدث- لأول مرة- أن يحارب الفلسطينيون بأعداد كبيرة إسرائيل من الداخل، وإن لم يكن توازن بين الطرفين، باستخدام السلاح، وإن لم يكن عندهم سلاح بكميات كبيرة. كان هذا تطورا صعبا بالنسبة لإسرائيل، في الماضي حين هوجمت عسكريا من الدول المجاورة كانت تهاجم بالطائرات مصالح تلك الدول لتقوم جيوش تلك الدول بمنع المقاومة الفلسطينية من استمرار عملياتها ضد إسرائيل.

وفي الانتفاضة الثانية لم يكن اللجوء إلى السلاح التغيير الوحيد، وإنما استخدام تكتيكات مختلفة في استعمال السلاح، من أبرزها استخدام ما يمكن تسميته بالقنابل البشرية[٨٦] بشكل مكثف، فخلق ميزان رعب بين الفلسطينيين وبين إسرائيل. أشغلت الانتفاضة الثانية الجيش الإسرائيلي واستنزفته بشكل كبير بعد أن أصبح الجيش يقوم بدور الشرطة، وهذا العامل أفقده ميزته العسكرية، حتى إن هناك من يقول: إن ضعف الجندي والضابط الإسرائيلي وعدم استعدادهما في حرب تموز- آب ٢٠٠٦م على لبنان يعود إلى تأثير الانتفاضة الثانية عليه.

حرب تموز- آب ٢٠٠٦م على لبنان

دخلت إسرائيل حرب تموز- آب ٢٠٠٦م على لبنان ولم تكن جاهزة، أو لم تكن تعرف قوة الطرف الثاني، وبهذا كان قرارها فاشلا بتجاهله كثيرا من المعالم المهمة في اتخاذ القرار وفق التقرير الأولي للجنة فينوغراد الذي نشر في إسرائيل في نيسان ٢٠٠٧م.

هُزمت إسرائيل في الحرب، وفشلت في الحصول على أي هدف من أهدافها التي وضعتها لنفسها، وهز هذا التطور مبادئ أساسية في العقيدة الأمنية الإسرائيلية[٨٧].

هناك نوعان من عوامل الفشل الإسرائيلي: الأول متعلق بعوامل ذاتية إسرائيلية، من بينها أن الجيش لم يكن مستعدا، بل مستنزفا في حرب طويلة مع الفلسطينيين، ولم يُعِدَّ برامج ملائمة وفق مبدأ "وجوب تحقيق الانتصار في الحرب"[٨٨]. الثاني عوامل متعلقة بقوة الطرف الآخر، قوة حزب الله، فقد فشلت مخابرات إسرائيل في معرفة قوة حزب الله البشرية والتكنولوجية والتنظيمية في ساحات القتال، ولم تتمكن من اختراق صفوفه، أو الحصول على معلومات صادقة وحقيقية عما يدور داخله.

ما زالت المنظومات الأمنية- منذ انتهاء الحرب في آب ٢٠٠٦م- تعمل لإصلاح الأخطاء التي كُشِفت في تلك الحرب بعد أن تشكلت أكثر من ٥٠ لجنة تحقيق داخلية في الجيش والمنظومة العسكرية لفحص ما جرى، وإمكانية ترتيب الأوراق من جديد. وفي آب ٢٠٠٧م بدأت هيئة أركان الجيش الإسرائيلي في تقييم ما حدث، ووُصِفت مداولاتها عند أحد القادة الكبار في الجيش الإسرائيلي بأنها "أهم المداولات التي تجريها قيادة الجيش الإسرائيلي منذ سنوات كثيرة، وربما في تاريخ الجيش الإسرائيلي"[٨٩]. ويركز رئيس الأركان الجديد على تحضير جيش قوي يحسم أي صراع عسكري في المستقبل.

إلا أن ما يسير على الأرض أمراً آخر وصفه قائد عسكري إسرائيلي بما يلي: "الجيش الذي فوجئ- وبنطاله نازل في حرب لبنان الثانية (الاسم الإسرائيلي لحرب تموز- آب ٢٠٠٦م على لبنان)- مشغول اليوم، ويتركز انشغاله في محاولة الاحتفاظ بالبنطال كي لا ينزل من جديد.... لا يوجد تقدم إلى الأمام"[٩٠].

وُضِعت خطة خماسية لإصلاح الجيش إثر الحرب، لا تبشر بخير، وينقصها البعد الثقافي والقيمي اعتمادا على تحليل المعلق العسكري لصحيفة هآرتس (أمير آورن) الذي قال: "إن الخطة الخماسية التي أعلنها الجيش في بداية أيلول ٢٠٠٧م تشير إلى فشل الخطة الخماسية التي سبقتها، وهي نفسها ينقصها مركبات حيويةرغم احتوائها على الدبابات والطائرات والتهديدات والتحديات، تنقصها قيم ومبادئ في فترة يمتلئ فيها الجيش بالضغائن والتناحرات القاتلة"[٩١]. وذكر المعلق أيضا أن تعيين غابي أشكنازي رئيسا

للأركان بعد تسريحه من الجيش- وهو الأول من نوعه في تاريخ الجيش الإسرائيلي- يعبر عن عدم ثقة الحكومة الإسرائيلية بقيادة الجيش الإسرائيلية الفاعلة. وأشار إلى أنه رغم صمت غابي أشكنازي عن قيامه بتعيين الضابط أيال أيزنبيرغ قائدا للواء غزة (אוגדת עזה) بعد فشل في قيادة لواء في حرب تموز- آب ٢٠٠٦م- والذي يعود بسبب نسب أيال مع صديق أشكنازي (الجنرال أوري ساغي)- قد أثار نقدا في إسرائيل، وصمته أسلوب غير مقبول(٩٢).

من بين تداعيات الفشل في الحرب، والتي انعكست مباشرة على العقيدة الأمنية الإسرائيلية:

- فقدت إسرائيل عوامل مهمة في العقيدة الأمنية الإسرائيلية بشكل عام، والعقيدة العسكرية بشكل خاص، من بينها: خسارة عامل الردع، وهو مركب مهم في العقلية العسكرية والأمنية الإسرائيلية، أثبت أن التفوق التكنولوجي الكمي والكيفي الإسرائيلي لا يفيدها حين يكون القتال من نوع آخر، حين يلتحم الناس مع المقاتلين. فالجيش الذي صُوِّر أنه لا يهزم، وكان يحسب له ألف حساب، لم يعد هكذا حين رأوه على شاشات التلفزة، وكُتِب عنه، ونُششرت شهادات من الميدان أنه جيش هلامي هرب قادته من أرض المعركة ليديروا المعارك من وراء أجهزة حاسوب، وتركوها للجنود. إلى درجة أن أحد كبار المعلقين السياسيين في إسرائيل (ناحوم برنيع)، من صحيفة يديعوت أحرونوت، دخل أراضي المعركة في جنوب لبنان بعد أسبوعين من بداية الحرب وقال: إن ما نراه من هنا ساحة القتال، ليس ما ينعكس علينا من مقر قيادة الجيش الإسرائيلي.
- لم تستطع إسرائيل نقل الحرب إلى أراضي العدو، وبقيت القرى اللبنانية الحدودية تحارب القوات الإسرائيلية حتى اللحظات الأخيرة، ولم يتردد حزب الله، وفق مصادر عسكرية، في إطلاق أكثر من ٢٠٠ صاروخ كاتيوشا في اليوم الأخير من

الحرب، ويطلق الصاروخ الأخير من مناطق قريبة جدا من الحدود اللبنانية الإسرائيلية.

- فشلت إسرائيل في فرض حرب قصيرة بعد أن أقرت حكومتها- في قراراها البدء في الحرب في ١٢ تموز ٢٠٠٦م- أن الحرب لن تدوم أكثر من ٥ أيام.
- حدثت هزة كبيرة في المفاهيم العسكرية الإسرائيلية التي تستند إلى نظرية القوة والبطش والتخويف. فُقِد الأمن الشخصي والجماعي في إسرائيل، وفشلت الحكومة الإسرائيلية في تأمين أدنى الاحتياجات: المأكل والمشرب لسكانها، إلى درجة أن أكثر من مليون مواطن قد نزحوا من منازلهم ليعانوا- لأول مرة منذ قيام إسرائيل- من الجوع والعطش والخوف، بعد أن تعرضوا لقصف آلاف الصواريخ. ولم تعد أعداد متزايدة من الإسرائيليين وخاصة من جيل الشباب ترى في إسرائيل مكانا للبقاء والسكن فيه. يخرج قسم منهم بشكل جماعي، شباب وشابات، للاستيطان في دولة كوستاريكا- إحدى دول أمريكا الوسطى- بحثا عن حياة آمنة وسعيدة. وعلى مستوى آخر، زادت نسبة الجنود المنتحرين عام ٢٠٠٦م بنسبة ٢٠٪[٩٣].
- زاد عدم الاستقرار في إسرائيل، وبدأت تُوَجَّه انتقادات حادة لقيادة أولمرت، وزادت المطالب بإقالته، أو إجباره على تقديم الاستقالة، وانخفضت شعبيته إلى الحضيض. ورغم الاحتجاجات المتنوعة، من بينها مظاهرة أكثر من ١٠٠ ألف إسرائيلي من وسط تل أبيب طالبوا بإقالته[٩٤]، إلا أنه بقي في الحكم؛ لأنه ليس له بديل عملي، إذ البديل سيكون بنيامين نتنياهو، وسمعته ليست أكثر إيجابية عند الإسرائيليين، فهو يحظى بتأييد الإدارة الأمريكية، ويتفنن في استعمال تكتيكات مختلفة للبقاء في الحكم، مثل مهاجمة مراقب الدولة حين وجه انتقادات له، ومهاجمة لجنة فينوغراد، بعد أن عيّنها هو نفسه، كي لا تخرج بنتائج تطالب بإقالته، وخلق صراعات داخلية بينه وبين باراك، وبينه وبين موفاز.

- تدهورت مكانة عمير بيرتس وزير الدفاع أكثر سوءا حتى تمت الإطاحة به، ولو كان ذلك بشكل انتخابات تمهيدية داخل حزب العمل.
- فشلت إسرائيل في خدمة الأهداف الأمريكية فشلا ذريعا، وبدأت مطالب في أمريكا بتقليل الاعتماد على إسرائيل. وبدأت القيادة الأمريكية في دراسة "تجربة حرب فرنسا في الجزائر" كي تخرج من الأزمة في العراق بدل الاعتماد على النصائح الإسرائيلية(٩٥). وحدد ١٤٪ من خبراء السياسة الخارجية في أمريكا في شهر آب ٢٠٠٧م أن إسرائيل- حليفا للولايات المتحدة الأمريكية- هي أقل خدمة لمصالح الأمن القومي الأمريكي(٩٦).
- استطاع حزب الله مفاجأة إسرائيل في عدة مجالات من بينها: ١) ضرب العمق الإستراتيجي الإسرائيلي بآلاف الصواريخ. ٢) أسر الجنود الإسرائيليين على الحدود اللبنانية، ولم تعلم إسرائيل بما حدث إلا بعد ساعة من الحدث، وعندما حاولت التقدم لمنع الخطف انفجرت دبابة، وقتل أكثر من ٨ جنود في المحاولة الأولى. ٣) صمود مقاتلي المقاومة اللبنانية في وجه القوة العسكرية الإسرائيلية. ٤) علاقة قوية بين المقاتل اللبناني والمواطنين، وكان واضحا حين عاد جميع سكان الجنوب حالا بعد وقف إطلاق النار، متحدين كل الصعوبات والمخاطر؛ لأنهم عائدون إلى الجنوب ليحافظوا على بيوتهم ويحموا المقاتلين، ويعيشوا بكرامة في بيوتهم وليس تطفلا على الآخرين. ٤) فشل الجيش الإسرائيلي عامة وسلاح الجو خاصة- رغم قيامه بإلقاء قنابل ذكية كبيرة وتدمير مساحات واسعة من الضاحية الجنوبية من بيروت- في تحقيق مكاسب سياسية. وترى المتحدثة للجيش الإسرائيلي زمن الحرب (ميري راغاب) إثباتا للفشل حين قام الجيش بإنزال الجنرال كابلينسكي- نائب رئيس الأركان للقيادة الشمالية في الجيش- في قمة المعارك، إذ فُسِّر بأنه نزع ثقة بقائد المنطقة الشمالية الجنرال آدم(٩٧).

- استطاع حزب الله تثبيت معادلة توازن الرعب في الصراع العربي الإسرائيلي، ويبدو أنه منذ اللحظات الأولى للحرب وضع حزب الله أمامه مهمة خلق توازن رعب مع إسرائيل، بمعنى إنه يستطيع إيلام الإسرائيليين كما يحاولون هم إيلام لبنان عامة وحزب الله خاصة. ولتحقيق هذا استعمل حزب الله قوة عسكرية قوية متدربة، أوقعت خسائر باهضة في الجنود الإسرائيليين الذين عبروا الحدود، وفي الذين كانوا يستعدون للعبور[٩٨]، وفي المدنيين في المناطق الشمالية والساحلية إلى ما بعد حيفا. وأكد حزب الله على مصداقية عالية في الطرح، وبراعة في إدارة الحرب النفسية، و أنه ربما لتهديد حسن نصر الله- في ١٤ آب ٢٠٠٧م الموجه لإسرائيل بأن حزب الله يملك مفاجأة من نوع جديد سوف تحسم الحرب والمنطقة إذا قامت إسرائيل بالاعتداء على لبنان- دورا مهما في منع أي حرب على لبنان في القريب أو البعيد، وهذا يخيف الإسرائيليين لأنهم عرفوا ما معنى أن يقوم حزب الله بتنفيذ مفاجآته.
- توسيع فكرة "إسرائيل أضعف من بيت العنكبوت". منذ عام ٢٠٠٠م استنتجت قيادة حزب الله- بناء على تجارب سابقة مع قوات الجيش الإسرائيلي، وربما دراسات إستراتيجية لواقع الدولة العبرية- أن إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت، وما يزالون يثقفون حزبهم وكوادرهم ومشاهدي قناة المنار، ومستمعي إذاعة النور، ومن يقرأ أدبياتهم على هذا الطرح. وحتى يقوى الطرح عميقا، أقام حزب الله في ذكرى مرور سنة على حرب تموز- آب ٢٠٠٦م متحفا في بيروت، سمي باسم "بيت العنكبوت"، وقاموا بإصدار لعبة إلكترونية تحت عنوان "القوة الخاصة ٢"، تشمل على عملية خطف الجنديين، وتدمير البارجة "ساعر ٥"، ومعركة مارون الرأس، ومعركة بنت جبيل. ويذكر أن حزب الله قد ابتكر- سابقا- لعبة إلكترونية تحت عنوان "قوة خاصة ١"، تطرقت إلى الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠م.

الأزمة عميقة ولها تداعيات مختلفة

بسبب مركزية الأمن في إسرائيل- إذ وضعها بن غوريون والزعماء من بعده في مقدمة الأولويات، وترصد له ميزانيات ضخمة، حتى إنها تزيد بكثير عما يعلن رسميا في ميزانية الدولة بنسبة أكثر من الثلث- فإن أي هزة به تنعكس كليا على مختلف الساحات ومجالات الحياة في إسرائيل. سوف نستعرض- فيما يلي وبإيجاز- أبعاد الأزمة التي تعاني منها العقيدة الأمنية الإسرائيلية، وتأثيراتها المختلفة في المجال الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي.

المجال الاجتماعي

هناك كثير من التطورات الاجتماعية في إسرائيل لا تساهم في تحقيق هدف العقيدة الأمنية الإسرائيلية: خلق أمن وأمان لليهود في إسرائيل، وهناك تأثير للإخفاقات الأمنية في إسرائيل على البعد الاجتماعي. سوف نستعرض فيما يلي تطورات معينة تشير إلى فشل العقيدة الأمنية الإسرائيلية التي وضعت هدفا لها، هو خلق أمن وأمان للإسرائيليين اليهود في إسرائيل:

-- تتسع الهوة بين الطوائف في إسرائيل لدرجة لم يسبق لها مثيل منذ إقامة إسرائيل، وخاصة بعد أن ازداد اليهود الشرقيون والمهاجرون المتحدثون بالروسية تمكينا في السنوات الأخيرة، حدث هذا بعد ثورة الخصخصة التي بدأت في منتصف التسعينيات في إسرائيل، فجمعت ثروات البلاد في أيد قليلة، وبالتحديد في أيدي خمس السكان في إسرائيل من ذوي الدخل العالي[٩٩] من الإشكناز، وأفسحت المجال لليهود الشرقيين والمهاجرين المتحدثين بالروسية أخذ الأمور بأيديهم، ووصل الأمر عند إحدى الصحف الإسرائيلية أن تصت دولة إسرائيل في نهاية سنة ٢٠٠٦م بأنها "دولة العبيد"، إذ فيها أكثر من ٥٠٪ من العاملين بالأجرة في إسرائيل لا يصل دخلهم الحد الأدنى القانوني[١٠٠]. وكشف استطلاع نشر في بداية أيلول ٢٠٠٧م أن ٦١٪ يعتبرون وضع

الوحدة الداخلية بين اليهود سيئا[١٠١]. وفي تقييمه لما يحدث في إسرائيل في السنوات الأخيرة، يقول بروفسور (داني غوطنين): "ضربت الخصخصة قيم المساواة الإنسانية والتضامن الاجتماعي"[١٠٢]. ويصف بروفسور (أفيشاي برافارمن) التطورات التي تجري في إسرائيل بفساد أخلاقي حين يتحدث عن زيادة اتساع الفروق بين الناس التي سوف تؤدي إلى زيادة في أزمات اجتماعية[١٠٣].

وفي تعليقه على التطورات الاجتماعية في إسرائيل، كتب (غدعون برويدا) ابن ناجية يهودية من المحرقة في الفترة التي يتظاهر هؤلاء أمام بناية رئيس الوزراء بادعاء أن الحكومة تأخذ تعويضات تدفع لهم من ألمانيا، ولا توصل لهم إلا الشيء اليسير: "لا نقص على أمي ما يحدث في دولة إسرائيل في السنوات الأخيرة... وكيف تفتح الدولة الخزينة العامة أمام فئة قليلة، وتبخل على هؤلاء الضعفاء الذين يطالبون بالحصول على مساعدة"[١٠٤].

ويقول د. ليف غرينبرغ في كتاب صدر حديثا (٢٠٠٧م): إن شن إسرائيل حربا في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام ٢٠٠٢م- وجندت فيها جيشا كبيرا من الاحتياط بالإضافة إلى الجيش النظامي- لم يكن يهدف إلى ضرب الفلسطينيين فقط إذ كان هذا الهدف المعلن، وإنما كان يهدف بالحقيقة المحافظة على استمرار السيطرة الإشكنازية على مجريات الأمور في إسرائيل بضرب قوة اليهود الشرقيين في إسرائيل التي وصلت قمة في إنجازات حزب شاس في انتخابات ١٩٩٩م[١٠٥]. وقد أدرك عمير بيرتس لاحقا أن هناك صراعات ثقافية واجتماعية واقتصادية واسعة بين المهاجرين اليهود في إسرائيل، وهي في ازدياد بين الشرقيين والإشكناز، بين المهاجرين الجدد والقدامى، بين المتدينين والعلمانيين، بين المواطنين العرب والمجتمع اليهودي[١٠٦]. فبعد أن أعلن دفن "جن الطائفية" بين اليهود في إسرائيل في خطاب النصر على شمعون بيرس على قيادة حزب العمل في ١٠ تشرين ثاني ٢٠٠٥م، يعود ليرفع الراية من جديد، وقد يكون تعبيرا عن واقع يمر به المجتمع الإسرائيلي، ربما كونه ورقة رابحة في السياسة الداخلية الإسرائيلية

بعد أن فشل رئيسا لحزب العمل ووزيرا للدفاع، بسبب ما يراه هو نفسه، كونه يهوديا شرقيا. ويقول في مقابلة في نهاية شهر آب ٢٠٠٧م: إن ما ذكره سابقا كان خطأً، وإن الطائفية بين اليهود تلعب دورا مهما في أعماق النفوس في حسم الأمور في إسرائيل[١٠٧].

تجسيدا لهذه الصراعات، ودخولها أزمة حادة، قام تشارلي بيتون- أحد قادة حركة البنتريم السود في إسرائيل في ١٩٧١م، وعضو كنيست من الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة من ١٩٧٧-١٩٩٢م- بإقامة حركة اجتماعية جديدة في إسرائيل تحدد أن حكومة إسرائيل هي العدو الأول لها[١٠٨]. وما يزال التوجه في السنوات الأخيرة نحو الانفصال والانطواء، فمثلا يدرس طلاب الجالية الإثيوبية في مدينة ملبس (بتاح تكفا) في مدرسة خاصة بهم في السنة الدراسية ٢٠٠٧م\٢٠٠٨م، ويدرس أولاد المهاجرين من الدول الاشتراكية سابقا في مدرسة خاصة بهم في نفس المدينة (مدرسة غوردون)[١٠٩].

-- بعكس من يرون- من زعماء الحركة الصهيونية- أن الهجرة اليهودية عامل مهم في قوة إسرائيل واستمرار بقائها، إلا أن هجرة المتحدثين بالروسية إلى إسرائيل منذ بداية تسعينيات القرن الماضي بدأت تشكل معضلة في نظر حكام إسرائيل، وذلك للأسباب التالية: ١) أغلبهم مهاجرون اقتصاديا وليس إيديولوجيا، أي إنهم يستغلون الهجرة إلى إسرائيل على أنها محطة انتقال إلى دول أخرى، إذ يبلغ معدل الدخل السنوي للفرد أكثر من ١٩ ألف دولار، وهو المعدل السنوي في إسرائيل. ٢) هناك ٧٠٪ منهم، أي حوالي ٨٥٠ ألف مهاجر من غير اليهود، الأمر الذي سيوصل نسبة عدد غير اليهود في إسرائيل إلى حوالي ثلث المواطنين، وأكثر من ٤٠٪ من الموجودين في إسرائيل، إذ يقطن كثير من الإسرائيليين أوطانا أخرى. ٣) يمثل قسم منهم مجموعات ضغط داخل إسرائيل أحيانا تعمل بشكل غير قانوني، وربما كانت سهام اتهام وزير الداخلية الإسرائيلية مئير شطريت موجهة إليهم حين تحدث عن ظاهرة وجود ٣٥٠ ألف هوية مزورة في إسرائيل. ويحاولون في النصف الثاني من عام ٢٠٠٧م- وبوساطة حملات مكثفة- خلق صور مسبقة عنهم، وذلك حين نشرت الصحف العبرية مثلا أنه بسبب صعوبات في استيعابهم

في إسرائيل بسبب كونهم غير يهود، بدأوا بنشاطات نازية في إسرائيل، من بينها الاجتماع والتنكيل باليهود، ورسم الصليب المعكوف في أماكن كثيرة في إسرائيل، من بينها كنس يهودية. ونشر أيضا أنه تم اعتقال ثمانية شباب منهم[١١٠]. وحين نتحدث عن المهاجرين لا بد من التوقف عند دور المهاجر (أركادي غايداماك) الذي يعرف اليوم في إسرائيل بظاهرة غايداماك، فهي تعكس في الأساس ما يلي: **أ)** سيطرة المال غير الشرعي على مجريات الأمور في إسرائيل، أو ظاهرة ما عرف بـ (الأوليغارغيم) في إسرائيل، فهو متهم في فرنسا بسرقة أموال وتهم أخرى، وقدمت لائحة اتهام في حقه. **ب)** عجز الدولة وقت الأزمات، وخاصة خلال حرب تموز- آب ٢٠٠٦م، وقصف المناطق المحاذية لقطاع غزة بصواريخ القسام بعد الحرب. وهو- أي غايدماك- يفكر اليوم بترشيح نفسه رئيسا لبلدية القدس، وقد أقام حزبا سياسيا، ومنحته استطلاعات للرأي ١٢ عضو كنيست إذا أجريت الانتخابات في آخر عام ٢٠٠٦م. إلا أن حملة شعواء تشن ضده في النصف الثاني من سنة ٢٠٠٧م في إسرائيل، من أجل تحجيم قوته على مختلف الأصعدة، لأن هناك من يفكر أن زيادة في قوته تشكل خطرا على إسرائيل. وحدث أن كانت مثل هذه الظاهرة في السبعينيات عندما قَدِم ثري متهم بالسرقة في فرنسا إلى إسرائيل، وقدَّم نفسه مرشحا في الكنيست، ليحمي نفسه من العدالة الفرنسية، وفاز.

-- الهجرة من إسرائيل في ازدياد، ولأول مرة منذ أكثر من ٢٠ سنة يزيد عدد المهاجرين من إسرائيل على القادمين إليها بـِ ٥٠٠٠ شخص. وانخفض عددهم عام ٢٠٠٦م بنسبة ٧٪، ووصلت نسبة الانخفاض من دول الاتحاد السوفييتي سابقا ٢٢٪. وتصل نسبة الإسرائيليين القاطنين في بلاد أجنبية، والمحافظين على جنسيتهم الإسرائيلية ما يقارب ١٣٪ من سكان إسرائيل. وصل الأمر إلى أن أعداد المتدفقين على السفارات الأجنبية- وخاصة الشرق أوروبية للحصول على جنسيات شرق أوروبية، ثم للاتحاد الأوروبي- مذهلة، وفق ما قاله أفيغدور لبرمان، وزير الأخطار الاستراتيجية في حكومة أهود

أولمرت. وأُعلن في شهر آب ٢٠٠٧م أن عدد المتنازلين عن الجنسية الإسرائيلية في ذلك الوقت مقابل الحصول على الجنسية الألمانية قد زاد بخمسة أضعاف عن عام ٢٠٠٦م. وقد تنازل بعضهم عن جنسيته الإسرائيلية، رغم أن القانون الألماني- الذي يوجب التنازل عن الجنسية الأصل لمن يحصل على جنسية ألمانية بشكل عام- يعفيهم من التنازل عن الجنسية الإسرائيلية[١١١]. وأعلنت السفارة الأمريكية أن هناك ارتفاعا كبيرا في عدد طالبي تأشيرة الدخول للولايات المتحدة من ١ أيار حتى ٣١ تموز ٢٠٠٦م بنسبة ٢٠٪ عما كانت عليه عام ٢٠٠٥م. ويتوقع بعض المتابعين أنه إذا قامت الولايات المتحدة بإعفاء الإسرائيليين من تأشيرة دخول (فيزا) إلى أمريكا فسوف يزداد عدد مهاجريهم إليها. ونشر في ٢١ آب ٢٠٠٧م في إسرائيل أن ٢٠ ألف إسرائيلي يهودي هاجر من إسرائيل في السنوات الأخيرة للعمل في الولايات المتحدة في مجال التكنولوجيا المتقدمة في وادي السليكون، قرب مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية[١١٢]. وليس أقل خطورة على هذا ما كشفه بحث ميداني قامت به الكلية اليهودية المتحدة (Hebrew Union College)، وجامعة ديفيس في كاليفورنيا، كما يلي[١١٣]:**١)** كلما قَلَّ جيل اليهودي الأمريكي ضعفت العلاقة وتأييد إسرائيل، ولا يرون في القضاء على إسرائيل قضية خاصة فيهم. **٢)** ٥٤٪ من الشباب يشعرون براحة في وجود دولة إسرائيل، بينما النسبة بين الكبار فوق سن ٦٥ تصل ٨١٪. ويعقب على هذا (ستيف كوهن) و(أري كالمان) بقولهما: "الانخفاض في تأييد إسرائيل ينبع من التغييرات التي تمر بها الجالية اليهودية في أمريكا، فهي أكثر اندماجا مع الجاليات الأخرى، وهي أقل اهتماما بما يجري في إسرائيل، وما يدور حول مصيرها". وقد وجدت- في بحث ميداني أجراه عام ١٩٩١م أثناء عملي في مركز (Center For International Development And Conflict Management CIDCM) في جامعة ماريلاند كولج بارك، بين الطلبة في أمريكا- أنه بعكس ما يظهر على السطح في الجامعات الأمريكية حين كانت هناك مجموعات يهودية متطرفة ومتعصبة في دعمها

لإسرائيل، فإن نسبا عالية من الطلبة اليهود في الجامعات الأمريكية يسيرون في مسار معتدل تجاه الصراع العربي الإسرائيلي[١١٤]. وتعزي باحثة يهودية في شؤون الشرق الأوسط من جامعة هارفرد هذا التحول إلى ما يلي:**١)** إسرائيل تُنْتقد لنشاطاتها في المناطق المحتلة، إذ هي لا تتصرف وفق مبادئ أخلاقية وإنسانية، وأكثر الناقدين لها من اليهود. **٢)** اليهود الأمريكيون قلقون من تدخل إسرائيل في العراق. **٣)** تصرفات إسرائيل لا تسير وفق القيم اليهودية، والأخلاقيات، والقانون، والدفاع عن الفقراء والمساكين، والعمل من أجل العدالة. **٤)** قيام إسرائيل باتهام كل من يوجه النقد لإسرائيل على أنه لا سامي يُغْضِب أعدادا متزايدة من اليهود الأمريكيين، وهو بمثابة إهانة لضحايا النازية من اليهود[١١٥].

ولا ينسى قارئو الصحف العبرية توسل (بوعز يونا) المصحوب بالبكاء أمام قاض في إحدى المحاكم الإيطالية، والذي كان قبل فترة وجيزة المدير العام لشركة البناء والتعمير "حفتسيبا" الضخمة في إسرائيل بعد اعتقاله في إيطاليا، حين نظرت المحكمة بطلب بتسليمه للقضاء الإسرائيلي، كي لا تقوم المحكمة بتسليمه لإسرائيل[١١٦].

من بين أبرز أسباب الهجرة من إسرائيل: أ) عدم وجود أمن وأمان شخصي. ب) خيبة أمل من قيادات إسرائيل- حتى رئيس الدولة ورئيس الوزراء والحاخام الأكبر في إسرائيل- بعد أن انكشف ضلوعهم بالفساد والجرائم الأخلاقية. ج) لا يشعر أغلب الإسرائيليين أنهم يفقدون شيئا حين يقررون الهجرة من إسرائيل؛ لأن أغلب ممتلكاتهم- من عقارات وغيرها- تعود إلى الدولة، وحصلوا عليها بوساطة هبات بغية الاستيطان والبقاء في الأرض المقدسة. د) هناك ثقافة منتشرة عند اليهود تتمحور حول المقولة "غيِّر مكانك تغيِّر حظك" (תשנה מקום תשנה מזל").

المجال الثقافي

أثبتت الأحداث في السنوات الأخيرة أنه لا يوجد في الثقافة السياسية في إسرائيل خطوط حمراء، فثقافة السياسية مليئة بالكذب، ولا توجد جرأة وشجاعة لتحمل المسؤولية عند المسؤولين.

الجيل الجديد يهرب من السياسة كما يهربون من وباء، ولم يعد هناك اهتمام كبير عندهم لتولي مناصب عامة لكثرة الفساد فيها، ولكثرة الطرق الالتفافية للهروب من قبضة القانون. والمتتبع للأحداث في إسرائيل يستطيع ملاحظة ثلاث صفات تنم عن ممارسة القيادات السياسية في إسرائيل: الطعن في الخلف، وعدم احترام الالتزام والتعهد، واللجوء إلى التلاعب والابتزاز.

لم ينحصر ارتكاب المخالفات الأخلاقية والجنائية على رئيس الوزراء أولمرت، ورئيس الدولة وعدد من الوزراء، وإنما كان الحاخام الأكبر في إسرائيل (يونا متسغر)- رئيس المحكمة العليا الربانية في إسرائيل- متورطا بالفساد والرشاوى. يقول الوزير بنيامين بن أليعزر: كان يأتي إلي ابن أختى- (يارون زليخة) المراقب العام في وزارة المالية، والذي قام وزير المالية في شهر آب ٢٠٠٧م بعدم تجديد عقده في العمل، أي بإقالته، مما أثار جدلا في إسرائيل، ومن المتوقع أن يقف إلى جانبه مراقب الدولة ويمنع تنفيذ إقالته لأنه كافح الفساد- ويقول لي: "الكل فاسد، الكل يسرق، جميعهم يجب وضعهم في السجون.."[(١١٧)]، وما يزيد من قلق الإسرائيليين أنه ليس هناك جهاز قوي للقضاء على هذه الظواهر التي تمثل سوسة قاتلة في المنظومة العامة للدولة، فالموجود هو ثقافة تبرئة المجرم إن كان صاحب منصب رفيع.

بعد أن نشرت أدلة لقيام شارون بمخالفات قضائية، رفض المستشار القضائي تقديم لائحة اتهام ضده، وكذلك الأمر بالنسبة لرئيس دولة إسرائيل السابق عيزر وايزمن. وما زال المستشار القضائي للحكومة الإسرائيلية على إصراره بعدم تقديم لائحة اتهام ضد رئيس الدولة السابق كتساب، والاكتفاء بصفقة خفيفة مع الادعاء العام رغم

الاحتجاجات الكثيرة من أوساط مختلفة، من بينها مجموعات ضغط نسائية قوية، لعدم تقديم لائحة اتهام بالتهم التي نشر أنه قام بارتكابها، مثل التحرش الجنسي والاغتصاب المنظم. كذلك لم يقدم المستشار القضائي لائحة اتهام بحق الحاخام الأكبر لإسرائيل، رغم وجود دلائل قاطعة، واكتفى بتقديم تقرير جماهيري، طالبه فيه بتقديم استقالته.

المجال الاقتصادي

تحاول إسرائيل منذ انتهاء حرب تموز- آب ٢٠٠٦م خلق انطباع أن حالتها الاقتصادية- وخاصة حين نتحدث عن استثمارات خارجية- في موقع ممتاز، وبدل أن تحدث انخفاضات في الاستثمارات الأجنبية في السنوات الأخيرة زادت. هذا مجال مهم؛ لأن عامل الاستقرار في الاقتصاد الإسرائيلي- كما يقول محافظ بنك إسرائيل، بروفسور ستينلي فيشر- يلعب به المستثمرون من خارج إسرائيل(١١٨).

كشف شمعون بيرس في تشرين ثاني ٢٠٠٦م- وكان قائما بأعمال رئيس الوزراء في إسرائيل- وإبراهام هيرشيزون- الذي كان وزيرا للمالية- أن حجم الاستثمارات الخارجية في إسرائيل عام ٢٠٠٦م قد وصل ٢٠ مليار دولار مقابل ٥ مليارات دولار عام ٢٠٠٥م. ومن المتوقع أن توجه لإبراهام في نهاية عام ٢٠٠٧م تهم سرقة ونصب واحتيال وخيانة المنصب.

فَسّر قسم تصريحاتهما بمثابة استفزاز للحاضرين أو حتى احتقار لقدراتهم على فهم ما يدور حولهم من تطورات وتحليله. وتظاهر قسم آخر بالجرأة ليصفها بأنها جزء مما يعرف اليوم بـ يسرابلوف (Israbluff)، أي محاولات الخدعة عن طريق الارتكاز على حقائق معينة لا يعرف تأثيرها بعد(١١٩).

قال د. روي ناتانسون- من أبرز المحللين الاقتصاديين السياسيين في إسرائيل- ما يلي: للانتفاضة الثانية تأثير سلبي على الاقتصاد الإسرائيلي، ولم نتمكن بعد من تحديد تأثير الحرب على لبنان، ويتوقع أن ينخفض التطور في الاقتصاد الإسرائيلي في "GDP"

حتى يصل الصفر. وبسبب المكاسب التي تحققها إسرائيل في حقل صناعات التكنولوجية المتطورة، سوف يكون الانخفاض بشكل تدريجي[١٢٠]. ولم يمض وقت طويل حتى اعترف شمعون بيرس أن سبب هذه الزيادة في الاستثمار في إسرائيل هو "عطف وشفقة على إسرائيل بسبب ضعفها" وليس بسبب قوتها أو جاذبيتها كما كان يحدث من قبل[١٢١].

ويقول بروفسور إفيشاي برافرمان: إن تدفق الأموال وحده، أو وجود الأموال وحده، لا يخلق التغيير الذي نصبو لتحقيقه، ومن يستفيد منه هو طبقة صغيرة من الإسرائيليين[١٢٢]. ففي إسرائيل تسيطر خمس عائلات فقط على ١٥٠ مليار شيكل عام ٢٠٠٧م، بعد أن كانت العائلات نفسها تسيطر على ١٠٧ مليارات عام ٢٠٠٥م[١٢٣]. وبلغ دخل ١٩ عائلة مسيطرة على الاقتصاد الإسرائيلي عام ٢٠٠٧م ٢٤٨ مليار شيكل، وهو مبلغ يساوي ٨٨٪ من حجم ميزانية إسرائيل تقريبا. وبلغ دخل هذه العائلات عام ٢٠٠٥م حوالي ١٩٨ مليار شيكل[١٢٤]. وزاد عدد الأغنياء في إسرائيل عام ٢٠٠٦م وحدها ١٠٥٠ مليونيرا[١٢٥].

بالإضافة إلى تركيز النجاح في أيد قليلة، يبدو أنه إذا كان جزء من نجاح الاقتصاد الإسرائيلي يقاس بقيمة الاستثمارات- كما حاول بعضهم وصفه عام ٢٠٠٦م- فهو أمر وهمي لا يرتبط بالاستثمارات الاقتصادية العادية، وإنما يدخل في إطار الحملات الإعلامية والدعائية التي ترتكز على نظريات وهمية، مثل تلك التي أتى بها بنيامين نتنياهو- الذي فاز في منتصف آب بالانتخابات التمهيدية لحزب الليكود الإسرائيلي- حين شغل منصب وزير المالية في حكومة شارون منذ ٢٠٠١م، والتي تقول في جوهرها ما يلي: تكلم عن اقتصاد ناجح- مع إقرار الخطوات الصورية لخلق مثل هذا الانطباع- يأت مستثمرون، ويزدهر الاقتصاد". أضف إلى هذا، هناك من يقلل من القيمة بعيدة المدى لمثل تلك الاستثمارات. يقول خبراء: إن الاستثمارات في إسرائيل سائلة ومتحركة، تغادر إسرائيل بسرعة أكثر من مجيئها إليها.

حدد نحميا شتريسلر- المراسل الاقتصادي لصحيفة هآرتس- أن الاقتصاد الإسرائيلي في عام ٢٠٠٦م وحتى في عام ٢٠٠٧م أصبح معرضا للبيع بكل ثمن (מכירת היסול)، مضيفا: "هناك جو في إسرائيل أن كل شيء للبيع وبكل ثمن. من يستعمل ضغطا خفيفا يحصل على كل ما يريد. لا يوجد قيادة، لا يوجد من يتحمل الضغوط، التنازلات دون نهاية"[١٢٦]

ويصف تقرير اقتصادي أن في إسرائيل اقتصادين في نفس الوقت، الأول: اقتصاد يعتمد على الصناعات المتطورة، تشبه في وضعها الحياة الغربية. واقتصاد آخر للفقراء، يعتمد على الصناعات التقليدية، ولا تستطيع هذه الصناعات أن تتطور ويحصل العاملون فيها على دخل كبير. ويقول التقرير: إن إسرائيل أمام خيارين، إما القضاء على الاقتصاد الثاني لتصبح إسرائيل من الدول المتطورة، وإما قضاء الاقتصاد الثاني الأكثر تخلفا على الأول لتفقد إسرائيل مكانتها من بين الدول المتطورة في العالم[١٢٧].

يقول سبير بلوتسكر- المعلق الاقتصادي لصحيفة يديعوت أحرونوت- ما يلي[١٢٨]: "مقارنة مع عشرين دولة متقدمة في العالم، إسرائيل هي ذيل أسد يبتعد تدريجيا عن جسمه... استعمال الديماغوغية سيزيد من اتساع الهوة بين إسرائيل والدول الصناعية المتطورة في العالم، وهذا يعود إلى أربع سنوات من التطور الاقتصادي منذ ٢٠٠٣م، وقد شوشت القدرة في إسرائيل على التقييم الصحيح في المجال الاقتصادي"[١٢٩].

تبرز صورة كاتمة للإسرائيليين مما نشره مكتب الإحصاء المركزي في إسرائيل من معلومات عن ميزان حجم الاستثمارات: الصادرات والواردات من السلع والأموال والخدمات في ٢٠٠٦م، وتبرز أن حجم تصدير الأموال من إسرائيل واستثمارها خارج البلاد قد وصلت عام ٢٠٠٦م أرقاما قياسية. وفيما يلي قسم منها[١٣٠]:

١) بلغ حجم الدين الصافي للخارج عام ٢٠٠٦م حوالي ٣١,٧ مليار دولار، مقابل ٢١,٢ مليار دولار عام ٢٠٠٥م، وهذه الزيادة مستمرة في تواصل منذ عام ٢٠٠١م،

أي منذ بداية الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وازدياد عدم الاستقرار وقلة الأمن والأمان عند الإسرائيليين.

٢) بلغ حجم الديون للخارج- عام ٢٠٠٦م- ١٣,٣ مليار دولار، مقابل ٣٠,٩ مليار دولار عام ٢٠٠٥م، ويعود هذا إلى الاستثمارات الضخمة التي قام بها إسرائيليون خارج إسرائيل، فقد زاد إخراج الأموال من إسرائيل عام ٢٠٠٦م بنسبة ٢٩,٨٪، مقابل ١٢٪ عام ٢٠٠٥م.

٣) ارتفع حجم الاستثمارات الخاصة المباشرة- التي تمنح المستثمر مكانا في إدارة الشركة وحقا في التصويت- من خارج البلاد عام ٢٠٠٦م مبلغ ١٤,٩ مليار دولار، مقابل ٤,٨ مليار دولار عام ٢٠٠٥م.

المجال السياسي

لا يمكن فصل ما يدور على الساحة الحزبية في إسرائيل- من ضياع طريق، وخصامات وتنازعات مستمرة- عما يدور على الساحة الأمنية من تضعضع في الحصول على الأهداف التي يسعى حكام إسرائيل للحصول عليها: الأمن والأمان. وسنستعرض فيما يلي عدة مواصفات لنتاج النظام السياسي في إسرائيل:

-- أصبحت إسرائيل في السنوات الأخيرة أكثر الدول فسادا، وأكثرها فقرا، وإن كثرت استثماراتها الخارجية التي ذهب أغلبها لخدمة ٢٠٪ من سكان إسرائيل، مما دفع أغلب الشباب اليهود في إسرائيل للابتعاد عن المشاركة الفاعلة في السياسة. وتشير نتائج استطلاع أجري بين صفوف الشباب المشاركين في المؤتمر الصهيوني للشبيبة في كانون الأول ٢٠٠٦م أن هناك ٥٠٪ لا يثقون بالقيادة في إسرائيل، و٦٧٪ يرون أن دولة إسرائيل تعيش حالة انهيار ونزول. وفي استطلاعات أجريت في إسرائيل عام ٢٠٠٦م حدد ٨٦٪ من الإسرائيليين أن الفساد السياسي في إسرائيل يؤثر سلبيا على حياتهم الشخصية، وطالب ٧٠٪ منهم بإقالة أولمرت، و٨٢٪ بإقالة عمير بيرتس. وحين حدد

معيار درجات للفساد في إسرائيل عام ٢٠٠٦م وجدت أكثر المؤسسات فسادا: الأحزاب السياسية، ثم الكنيست.

-- أصبحت هناك مركزية في النظام السياسي الإسرائيلي، إذ تلاشت الخلافات الإيديولوجية فيما بينها، ثم فشلت هذه المركزية، وليس توقع اندثار حزب كاديما إلا مثال على هذا الفشل، وذلك للأسباب التالية:

١) أقيم الحزب من شارون، ومن شرعيته السياسية والتاريخية، ولكنه الآن لم يعد لاعبا.

٢) أقيم دون تحضيرات أولية، ودون إيديولوجية.

٣) استمرار تناحرات داخلية، وكان آخرها في النصف الثاني من شهر آب ٢٠٠٧م بين أولمرت وموفاز.

٤) هشاشة البناء التنظيمي منذ البداية، فلا توجد فروع للحزب، ولم تبذل جهود في سبيل بناء الكوادر والمؤسسات المختلفة.

٥) تبين أن ليس لأولمرت مواصفات قيادية، وكرست لجنة فينوغراد على سبيل المثال أنه فاشل، وكررت كلمة فشل (١٦٤) مرة على إثر الدور الذي قام به في حرب لبنان.

٦) عدم وجود أجندة سياسية واضحة للحكومة.

٧) مخالفات قانونية لكثير من زعماء كاديما.

٨) محاولات البقاء بكل ثمن، وانعدام ثقافة المحاسبة عندهم باتباع استراتيجية تصدير الأزمات الداخلية.

ما كتبه أبراهام بورغ في كتابه الجديد (للانتصار على هتلر) الذي نشر في الصحف العبرية في ٢٠٠٧م، يمثل هزيمة سياسية للنظام السياسي في إسرائيل خاصة، ولمشروع الحركة الصهيونية الشامل من أوسع الأبواب. وهذا التطور ليس تطورا شاذا على الساحة السياسية الإسرائيلية، فقد أشار ألبرت أينشتاين نفسه إلى عديد من هذه الأفكار حين سوّغ رفضه تولي منصب رئيس دولة إسرائيل[١٣١]. وهناك تشابه بين هذه الأفكار

وما تطالب به حركة نيتوري كارتا الأرثوذكسية المعادية للصهيونية، والتي يسكن عشرات الآلاف من مؤيديها في القدس. الشيء الجديد والمهم في هذا التطور هو أن هذا الكلام يصدر عن رجل سياسي رفيع المستوى في إسرائيل، وصل مرتبة رئيس الكنيست بعد أن كان يشغل منصب رئيس الوكالة اليهودية، ورضع- منذ نعومة أظفاره- السياسة الإسرائيلية، فقد كان والده- دكتور يوسف بورغ- زعيم الحزب الديني القومي (المفدال)، وشغل منصب وزير في وزارات مختلفة، من بينها وزير الداخلية ذات التأثير الكبير على الإسرائيليين. ومن أبرز ما يطرحه:

- يعتقد أن هناك تناقضا بين يهودية الدولة وإسرائيليتها وديمقراطيتها.
- لم يَعُدْ يعتبر نفسه صهيونيا؛ لأن ما تسعى إليه الصهيونية هو ما أراده هتلر أن يحصل باليهود: أن يتقوقعوا في مكان معين، ويستمروا في العيش بالخوف، ويسوِّغون قتل الفلسطينيين ومعاناتهم، بحجة أنهم قد عانوا من النازية أو من اللاسامية. ويطالب بإلغاء قانون العودة الذي يسمح لكل يهودي في العالم أن يأتي إلى إسرائيل، ويحصل على جنسيتها حين تطأ قدماه أرض المطار، والتمتع بمعونات مادية مغرية، وهي ما تسمى في إسرائيل سلة استيعاب المهاجر. ويطالب أن يتزود كل يهودي بجواز سفر آخر حتى يتاح له أن يعيش في مكان آخر. وهو نفسه حصل على الجنسية الفرنسية، وهو سعيد بهذه الجنسية.
- لن تستمر إسرائيل في الوجود إذا أصرت على تعريف نفسها دولة يهودية، تحتل أرض الآخرين وتسلب حقوقهم.
- يطالب بورغ بإقامة مركز يهودي روحي لليهود، له بعد إنساني واسع، مثل الذي أتى به النبي موسى عليه السلام- المتسامح والمتفتح والمحترم لإنسانية الإنسان- وليس له حدود جغرافية كما يتمثل في دولة إسرائيل.
- الحياة في الخارج- مثلما يسميها- تمتاز بكثير من الصفات الإيجابية التي تعطي لحياة الإنسان معنى وسعادة وإكراما واحتراما.

- طالب إسرائيل التخلي عن استمرار استعمال أساليب العنف، وتفكيك أسلحتها النووية[١٣٢].

استشراف المستقبل: إسرائيل حتى ٢٠١٥م

من الصعب استشراف ما قد يحدث في السنوات السبع القادمة، إلا أن هناك عدة مؤشرات تشير إلى أن قيادة إسرائيل- رغم صعوبات ذاتية وإقليمية ودولية- ستحاول التفتيش عن نصر عن طريق بدء حرب، أو المشاركة في حرب؛ لأنها لا تستطيع المحافظة على تماسك داخلي دون حرب تبادر بها، وهي بحاجة إلى ضخ مالي خارجي كبير، سواء من الولايات المتحدة أو من أثرياء يهود العالم، واقتصادها يزدهر على إثر حروب.

من المتوقع أن يحدث هذا رغم وجود توقعات أن تأتي تلك الحرب بثمن باهض لإسرائيل على كثير من المستويات. ومن أبرز الدوافع لها:

أولا: التفتيش عن نصر لمسح الفشل المتراكم، واستعادة عامل الردع.

ثانيا: التحكم بالمبادرة؛ لأنه يلعب دورا مهما في المستقبل، نظرا للتطورات الست التي حدثت مع إسرائيل خلال العقود الأربعة الماضية.

ثالثا: يعرف القادة في إسرائيل أن استمرار الوضع الحالي يلعب ضد إسرائيل؛ لأن الفلسطينيين لن يقفوا صامتين أمام استمرار سياسية التطهير العرقي التدريجي التي تنفذها إسرائيل، ولن يقبلوا استمرار تجميعهم في معسكرات تركيز، وبانتوستونات، يجوعون ويعطشون، وتمنع عنهم الخدمات الأساسية، فمرحلة جديدة من الانتفاضة- مع دعم عربي ملموس- سيكون من بين التوقعات في السنوات السبع القادمة.

أما العوامل التي ستلعب دورا مهما في حسم التطورات المستقبلية، أو إعطائها أطرا معينة فهي:

١) العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية

تلعب العلاقات الإسرائيلية الأمريكية دورا حاسما في أي تطور قادم، ولن تستطيع إسرائيل القيام بأي عمل إقليمي أو دولي دون الموافقة المسبقة للإدارة الأمريكية، أو الحصول على عدم المعارضة. ومن المتوقع أن تجيز الولايات المتحدة أي حرب تقوم بها إسرائيل للمصلحة الأمريكية العامة في المنطقة. ومن أبرز مواصفات هذه العلاقات:

١. ازدادت إسرائيل تبعية للولايات المتحدة، فاقدة بذلك الاستقلالية في اتخاذ قرارها الاستراتيجي. ومع زيادة التبعية لأمريكا ستزداد الطبقة الكومبرودورية في إسرائيل قوة، وستزيد أي حرب قادمة التبعية للولايات المتحدة.

٢. رغم أن دور إسرائيل الإستراتيجي في أعين متخذي القرار الأمريكي قد قل- بسبب تأزم وضع أمريكا في المنطقة، إذ كان لإسرائيل أو مؤيديها في الولايات المتحدة دور في المأزق، أو بسبب قدوم الولايات المتحدة، ودخولها المنطقة بشكل مباشر وبكثافة كبيرة، وعدم حاجتها لإسرائيل لتحقيق أهدافها الواضحة في المنطقة: إحكام السيطرة على النفط، والحصول على قسم كبير من الأموال الطائلة المكدسة في الخليج، إذ دخل الخليجَ عام ٢٠٠٦م وحده حوالي ٦٠٠ مليار دولار أمريكي- رغم ذلك كله إلا أن المنطقة قادمة على تغييرات كثيرة، ولا بد أن يجد المخططون الأمريكيون دورا لحرب تقوم بها إسرائيل لخدمة المصالح الأمريكية.

حين توافق أمريكا على خطوات إسرائيلية في المستقبل سوف تأخذ بعين الاعتبار أنها الطرف الذي يتحكم بمجريات الأمور، فعندما تصدر قرارا معينا- ومن المتوقع أن يكون في صالح مواقف الجماهير العربية- سوف تلتزم به إسرائيل. والتجارب كثيرة بين الطرفين[١٣٣]. نتذكر جميعا ما كتبه الرئيس ريغن- بعد أن وصف أرييل شارون بأنه سيئ يفتش عن حرب-: "في ١٢ آب ١٩٨٢م وصلتني أخبار أن إسرائيل قصفت غرب بيروت قصفا عنيفا بفترة متواصلة لـ ١٤ ساعة، اتصل بي الملك فهد وطلب منى أن أعمل على وقف القصف الإسرائيلي،

اتصلت ببيغن (رئيس وزراء إسرائيل) وقلت له: يجب وقف القصف وإلا فسوف تكون علاقاتنا المستقبلية في خطر. كان اختياري استعمال كلمة (كارثة) مقصودا، وبعد عشرين دقيقة اتصل بيغن ليخبرني أنه أوقف القصف، وهو يستجدي الأمريكيين أن تستمر علاقات الصداقة بين الطرفين "[١٣٤]

٣. مع وجود زيادة معارضة في أمريكا لسياسات إسرائيل[١٣٥]، وقلة تأييد الشباب اليهود لها، إلا أن أمريكا ستسير على طريقة عدم منع حرب في المنطقة، والاستفادة منها لخلق دولتين في الأرض المقدسة تخدما المصالح الأمريكية[١٣٦].

٤. لم تكن زيادة المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل لتصل ٣٠ مليار دولار في السنوات العشر القادمة تطورا جديدا. فهو- أساسا- دعم لصناعات الأسلحة الأمريكية، أو تزويد مخازن الأسلحة في إسرائيل كي توضع تحت تصرف القوات الأمريكية في الوقت المناسب بالنسبة لأمريكا، وقد تزيد أزمة مسلحة بين إسرائيل وجاراتها فرصا لتسويق مزيد من السلاح الأمريكي في المنطقة.

٢) مواصفات العلاقات الدولية

هناك قوى عظمى صاعدة قد تهدد استمرار وجود عالم القطب الواحد ذو السيطرة الأمريكية، وهذا ما يجعل كل خطوة حساسةً على المستوى العالمي؛ بسبب مركزية المنطقة إستراتيجيا على الساحة الدولية، وهو ما يزيد مجال المناورة عند إسرائيل حتى لو كانت التبعية لأمريكا قوية. فنجم أوروبا يزداد مع الوقت، وروسيا تحاول العودة إلى المنطقة، وزيادة تأثيرها وترسيخ علاقاتها المختلفة.

٣) هناك معوقات ذاتية إسرائيلية

مثل فقدان عامل الردع، واستمرار وجود تناقضات وفشل في عقيدتها الأمنية، وعدم تمكنها من تغييرات فيها، إلى درجة أن استمرار وجود إسرائيل اليوم هو في موضع نقاش بين الإسرائيليين، إلا أن خطوة مثل هذه قد تساعد على قلب التحولات، فلن يقدم الإسرائيليون على خطوة قد يهزمون بها، سيما بعد ما حدث في لبنان صيف

٢٠٠٦م. فخطوة إسرائيلية مثل هذه قد تخفض النسبة التي كشفها استطلاع أجري في إسرائيل في أيلول ٢٠٠٧م حين وجد أن ربع الإسرائيليين غير متأكدين من استمرار وجود إسرائيل، وربع السكان يفكرون في الهجرة منها(١٣٧). وقد تُضاعف مواقف مشابه لمواقف أبراهام بورغ ٢٠٠٧م الذي حدد أن استمرار إسرائيل محفوف بالمخاطر والصعاب؛ لأنها "أكثر مكان غير آمن لليهود في العالم، تعيش في حالة طوارئ وسط لغة العداوات، بينما يعيش الإنسان خارجها لغة العلاقات والجسور والتفاهم والمسامحة والتنازل". وتدعم أيضا موقف (Mitchel G. Bard) 2007م الذي قال: إنه رغم أخطار تواجهها إسرائيل- التطرف الإسلامي، وإيران النووية، وسكان إسرائيل العرب، وتناحرات طائفية بين اليهود، ونقص متزايد في المياه- إلا أنها ستبقى، ولسنوات طوال.

٤) الدور العربي والإسلامي

صحيح أن هناك ست تطورات على الساحة الصراع قد أجبرت إسرائيل على عدم تجاهل قوة الرد العربي وردعه وفاعليته- خاصة بعد أن حصل العرب والفلسطينيون على توازن رعب مع إسرائيل- إلا أن إسرائيل سوف تبادر إلى حرب كي تعيد الأمور إلى سابقها، أي تستعيد عامل الردع من جديد. نعم، نجاح حزب الله في تموز- آب ٢٠٠٧م في تثبيت ميزان الرعب، وتصريح حسن نصر الله في مقابلة مع الجزيرة في تموز- آب ٢٠٠٧م أن حزب الله يمتلك صواريخ يمكن أن تصل كل متر في إسرائيل، وتحذيره زعماء إسرائيل في ١٤ آب ٢٠٠٧م بقوله: إذا فكرتم بالاعتداء على لبنان، أعدكم بمفاجأة كبرى يمكن أن تغير مصير الحرب والمنطقة. كل هذا قد يردع إسرائيل عن شن حرب من نوع تقليدي، إلا أن هذا أيضا لن يمنعها من محاولة محسوبة جيدا لاسترداد قوة ردعها. فصحيح ما يقوله عضو الكنيست جمال زحالقة: إن إسرائيل مترددة بسبب الفشل في حربها ضد المقاومة في لبنان، ووجود توازن رعب، إلا أنها سوف تحاول تغيير هذا، وهناك مؤشرات أن لديها دعما أمريكيا في المدى القصير(١٣٨).

تلخيص

فشل العقيدة الأمنية الإسرائيلية التي بنيت على قواعد بعيدة عن القيم الإنسانية السامية- إن لم يتناقض بعضها معها-، مثل: أنا الوحيد في الميدان، ويحق لي ما لا يحق لغيري، والسجود للقوة، والعنصرية، والاستعلاء والازدراء بالآخرين، في سبيل توفير الأمن والأمان للإسرائيليين منذ عشرات السنين، فشل تلك العقيدة يقلق كثيرا من الإسرائيليين، ويضع بقاءهم في البلاد في علامة استفهام. فقسم يهاجر خارج البلاد بحثا عن الأمن والأمان، وآخرون يفتشون عن مخرج لمأزقهم في هذه البلاد.

من أبرز تداعيات هذا الفشل: فشل في أداء منظومات ومؤسسات عامة كثيرة، مثل الجيش والحكومة المركزية والحكم المحلي، وظهور تقلبات حادة، مثل صعود كاديما وهبوطه السريعين، وفشل المركزية في النظام الحزبي. والنتيجة أن دولة إسرائيل لم تعد تجذب يهود العالم كما كان من قبل، وإن قَدّموا الدعم لها فليس إعجابا كما كان في السابق، وإنما شفقة أو استجابة لاستجداء يقوم به زعماء إسرائيل في السنة الأخيرة. فصورة إسرائيل عالميا في تدهور، وقد كانت عام ٢٠٠٦م الأسوأ بين عينة من ٣٦ دولة.

إسرائيل- مشروعا صهيونيا ناجحا في تجميع يهود العالم في فلسطين على حساب شعب فلسطين- قد وصلت قمة الدوران والتراجع. ولم يعد أمام حكام إسرائيل سوى دربين: إما الموافقة على سلام والعيش بسلام مع العرب الفلسطينيين في إطار سياسي يتم التوافق على مواصفاته من قِبَل الطرفين، أو الاستمرار في الوضع الحالي الذي يوصف بالعنف وانتهاك القيم الإنسانية الأساسية، أو سيدفعها- في ضربة حاسمة- إلى استعادة قوة ردعها للقيام بحرب مع جاراتها الثلاث (سوريا، ولبنان، وفلسطين) مما سيؤدي إلى زيادة التدهور، ومن ثَمَّ زيادة الهجرة من البلاد؛ لأن اليهود يحبون الحياة والتمتع فيها والسفر في العالم. وحين يقارنون وضعهم مع وضع الآخرين يتأكدون- كما ذكر أبراهام بورغ ٢٠٠٧م- أن إسرائيل، ورغم ما يقال أنها تمتلك سلاحا نوويا، هي أكثر مكان غير آمن لليهود في العالم.

الهوامش

[١]. راجع حول هذا الموضوع كتاب Michael Brecher حول منظومة السياسة الخارجية في إسرائيل وما يطلق عليه بالتحديد مصطلح prism.

[٢]. أجاب ماريدور، وزير قضاء إسرائيلي سابق، على هذا خلال مؤتمر في الكلية الأكاديمية نتانيا، في الأسبوع الأول من آب ٢٠٠٦م خلال الحرب، وحضره عشرات الجنرالات والسياسيين والمحللين الاستراتيجيين وحضره كاتب هذا البحث.

[٣]. نفرق هنا بين "العقيدة الأمنية" و"العقيدة العسكرية". فالعقيدة العسكرية مجموعة من القيم والمبادئ التي تهدف إلى إرساء نظريات العلم العسكري على ساحة الواقع، وهي جزء مهم من العقيدة الأمنية. وحين نتحدث عن أمن إسرائيل يكون حديثنا عن ثقافة أمنية مرتبطة بقيام الدولة واستمرار وجودها حتى اليوم، إذ أغلب نواحي الحياة العامة فيها مرتبطة بالنواحي الأمنية، ويفسر من منطلقات ومصفيات (filters) أمنية.

[٤]. على إثر حرب العاشر من رمضان أكتوبر ١٩٧٣م قاد موتي أشكنازي أحد القادة الذي تم أسرهم في خط بارليف الشهير على الضفة الشرقية لقناة السويس احتجاجا، وأدى احتجاجه إلى إقامة لجنة تحقيق دولة "لجنة أغرانات"، وانتحار رئيس الأركان الإسرائيلي في حينه دافيد بن أليعزر، وسقوط حكومة غولدا مئير، وأفول نجم الجنرال موشيه ديان الذي سطع في إسرائيل على إثر "الانتصار" في حرب حزيران ١٩٦٧م.

[٥]. كان الجنرال بيلد قائدا لسلاح الطيران الإسرائيلي حين كانت سمعة تلك السلاح في إسرائيل في القمة حيث هو، أي سلاح الطيران، والذي حقق "الهزيمة ضد ثلاثة جيوش عربية خلال ساعات في حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧م. ما دار بين بني بيلد وأولاده اقتبس في تحقيق صحفي نشره موقع صحيفة يديعوت أحرونوت Ynet.co.il بتاريخ ١٤ تموز ٢٠٠٢م. وفق الرابط التالي:
www.ynet.co.il/Ext/Comp/ArticleLayout/CdaArticlePrintPreview/1,2506,L-1997093,00.ht

[٦]. أعلن انسحابه من حزب العمل عام ٢٠٠٦م حين شعر أن عمير بيرتس زعيم حزب العمل الشرقي الذي دخل الانتخابات العامة في آذار ٢٠٠٦م، وهو رئيس حزب العمل، لم يلتزم بما تعهد به أمام الناخبين، بعد أن كان من مؤيديه في الانتخابات التمهيدية حين نافس شمعون بيرس في أكتوبر ٢٠٠٥م.

[٧]. تم اقتباس هذه الاعتقادات من كتاب أبراهام بورغ (للانتصار على هتلر).

[٨]. معاريف، ٣٠ آب ٢٠٠٧م.

[٩]. أوصي بقراءة الكتاب كاملا، وللاطلاع على مضامينه الأساسية يمكن مراجعة مقال ميرون ربابورت الذي نشر في صحيفة هآرتس ٧ أيلول ٢٠٠٧م.

[١٠]. استعمل ليساك في بحثه المصطلح الإنجليزي "Supreme Authority".

[١١]. نرتكز جزئيا في هذا على دراسة د.رؤوبين بدهاتسور حول "الثقافة الأمنية الإسرائيلية". انظر مقاله في مجلة פוליטיקה، "بولوتيكا"، مجلة منظمة علماء السياسة في إسرائيل، ع١٠ شتاء ٢٠٠٣م ص: ٨٧-١١٧

[١٢]. ورد هذا الرأي في كتاب أبراهام بورغ "للانتصار على هتلر".

[١٣]. وفق ما كتبه أبراهام بورغ في كتابه "للانتصار على هتلر يشكر اليهودي الله في صلاة السبت لأنك "اخترتنا نحن وقدستنا نحن من بين كل الشعوب". وعند انتهاء السبت يقولون في صلاتهم: "تبارك الله الذي يميز بين المقدس وغير المقدس، بين النور والظلمة، وبين إسرائيل والشعوب."

[١٤]. برأت المحكمة المركزية في القدس شموئيل يحزقيل قاتل الفلسطيني سمير داري من قرية العيسوية- القدس بعد قتله بإطلاق النار في ظهره عام ٢٠٠٥م. وقال القاضي: هناك إمكانية أن القاتل قد أخطأ حين فكر أنه يواجه خطر الموت من الضحية. وقد علق كاتب على الخبر تحت اسم "مواطن عربي" بالقول: "هنا تتجسم العنصرية بذاتها. وهو أمر ليس غريبا. ففي إسرائيل ثقافة سياسية، من أبرز قادتها رحبئام زئيبي الذي أقر يوما من الأيام "أن كل يهودي يساوي ١٠٠٠ عربي". وأضاف الكاتب: إن القرار يبرز عنصرية، وهي أقسى من العنصرية التي مورست جنوب أفريقيا. وإن الجهاز القضائي في إسرائيل يفرق بين العربي واليهودي، وهذا ما كان يمارسه النازيون في ألمانيا. ويختم قائلا: "عليكم أن تتذكروا جيدا كل ما أقوله." (هآرتس ١٩ نيسان ٢٠٠٧م، ونشر في موقع الجريدة في نفس اليوم، إذ كان التعليق عليه Haaretz.co.il)

[١٥]. انظر سمير سمعان وآخرين ٢٠٠٤م "العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية"، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ص ٨.

[١٦]. أشار إليه أبراهام بورغ في كتابه (للانتصار على هتلر) ٢٠٠٧م.

[١٧]. تفاصيل حول تداعيات هذه النظرة نحو "صراع مستمر"، انظر ما كتبه كل من دان هوروفيتس وليساك (דן הורוביץ ומשה ליסק) ١٩٨٨م.

[١٨]. انظر كتاب يغئال ألون "מסך של חול" " شاشة من الرمال ١٩٦٠م، ص ٨٢,

[١٩]. في بحث ميداني قمت به بين طلاب عرب وطلاب يهود في كلية بيت بيرل، حمل الاستطلاع سؤالا عن إمكانية المقارنة بين النكبة الفلسطينية والكارثة اليهودية. رد أغلب الطلاب العرب بالإيجاب، بينما رد جميع الطلاب اليهود على أن الأمر مستحيل، و"كيف تجرؤون على إدراج سؤال مثل هذا في استطلاع البحث؟"

[٢٠]. أوشفيتس هو أحد معسكرات التركيز التي قام ببنائها النظام النازي لتركيز اليهود فيها خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين.

[٢١]. مقتبس في مقال كوهن، أ ١١١:١٩٩٦ (تفاصيل باللغة العبرية في المراجع)

[٢٢]. راجع كتاب صدر عام ٢٠٠٧م بتحرير أبعيزر رابتسكي باللغة العبرية عن مركز "فان لير" في القدس، تحت عنوان "يشعيا هوليفوفتش بين التحفظ والتطرف: نقاش في طرحه.

[٢٣]. مقتبسة بواسطة بدهاتسور ٢٠٠٣م، ص ١٠٣.

[٢٤]. صحيفة معاريف ٢٤ آب ٢٠٠٧م (واسم الضابط ليئور أبرباخ) وعنوانه الإلكتروني:
li-or@maariv.co.il

[٢٥]. مقتبسة من كتاب بن غوريون بواسطة رئوبين بدهاتسور ٢٠٠٣م، ,٩٨

[٢٦]. وصلت معارضة بيغن إلى درجة أنه حاول قتل أدينهاور، رئيس وزراء ألمانيا، بعث له مغلفا يحتوى على متفجرات، فتفجر في أحد رجال الشرطة الألمان وقتله.

[٢٧]. يديعوت أحرونوت ٢٥ حزيران ٢٠٠٧م. يجري الصحفي الإسرائيلي يارون لوندون مقارنة مع الوضع في غرب أوروبا التي ترعرعت على إثر حصولها على أموال أمريكية كبيرة وصل حجمها بعد الحرب العالمية الثانية، في إطار خطة مارشال، مبلغ ١٠٠ مليار دولار.

[٢٨]. نموذج للاعتراف الشخصي لما اقترفه من جرائم بحق الفلسطينيين وخاصة في منطقة الشمال، طبريا. انظر فلم المخرجة داليا كاربين (דליה קארפן) "يوميات نحماني" باللغة العبرية، إذ يتحدث عن طرد طبريا، المدينة الهادئة، حيث سكن بها يهود وعرب بود وإخاء، وقامت القوات الصهيونية عام ١٩٤٨م بطرد كليهما وهدم بيوت كليهما، كي تخلق واقعا جديدا يكون خاليا من العرب. حول هذا الموضوع والجرائم التي قامت بها القوات الصهيونية، انظر بحثا قام به مصطفى عباسي، كلية تل حاي، ٢٠٠٧م.

[٢٩]. بعد رفض عرفات التنازل طعنه بيرس بلقب "מטורף" أي مجنون، أو أحمق.

[٣٠]. طرح هذه الفكرة يغئال ألون وطورها في كتبه. انظر نقاش حول الفكرة في مقال بدهاتسور ٢٠٠٣م، ,٩٩

[٣١]. في نفس الأسبوع أعلن في مصر أن قائد سلاح الطيران سوف يقوم بزيارة مهنية لليبيا، وأن القادة الكبار في الجيش المصري سوف يسافرون إلى عمرة رمضان في تلك الفترة.

[٣٢]. يقول عوفر شيلح في كتابه عن حرب لبنان ٢٠٠٧م: إن القيادة العسكرية تلقت خبر اختطاف الجنود في الجليل في ١٢ تموز ٢٠٠٦م وهي في اجتماع في مقر وزارة الدفاع والجيش في تل أبيب لمناقشة الحرب على قطاع غزة.

[٣٣]. فيما يتعلق بخمسة أيام، كانت النظرة في القيادة الإسرائيلية- عندما وافقت الحكومة الإسرائيلية على قرار الحرب في ١٢ تموز ٢٠٠٦م- كانت الفرضية أنها سوف تستمر ٥ أيام. فيما يتعلق بقدرات حزب الله الاستمرار في الحرب أكثر من ٣٣ يوما هناك كثير من التقييمات العسكرية من بينها ما يعاد إلى تصريحات السيد حسن نصر الله نفسه في خطاباته المشهورة زمن الحرب وبعد الحرب. وله مصداقية كبيرة حين يقول شيئا؛ لأنه، وفق ما نشر، لن يقول شيئا للمقاتلين وللعالم إلا بعد أن تكتمل الصورة. (فصل المقال ٣ آب ٢٠٠٧م، ص ٨.)

[٣٤]. تم اقتباس باراك من مقال كتبه أسعد تلحمي، فصل المقال ٢٤ آب ٢٠٠٧م.

[٣٥]. مقتبس بواسطة مردخاي باراون (١٩٩٢م). هذا التركيز على الحرب والاستعداد لها طيلة الوقت وعدم السماح بالهزيمة كان أبرز ما كان يؤكده موشيه ديان، رئيس الأركان في الخمسينيات، ووزير الدفاع في حرب الخامس من حزيران ١٩٧٣م. انظر تفاصيل حول هذه الفكرة في مقال بدهاتسور ٢٠٠٣م، ,٩٩

[٣٦]. هآرتس ٦ آب ٢٠٠٧م.

[٣٧]. بعد نشر مضمون الوثيقة التي اشترك في وضعها، استقال وقام رابين بترقيته بتعيينه مدير القسم العربي في حزب المعراخ (حزب العمل).

[٣٨]. أقامت الجماهير العربية "حركة الأرض" في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين من أجل الدفاع عن الأرض والهوية والحقوق الأساسية، ولم تكن في بداية تأسيسها حركة شعبية واسعة، بل نتاج نشاط عديد من المثقفين العرب، وعلى رأسهم صالح برانسي (الطيبة، المثلث) ومنصور كردوش (الناصرة) وعلي رافع (دير الأسد) ومحمد ميعاري (ميعار). لم تتمكن أن تصبح حركة شعبية، إذ قامت السلطات الإسرائيلية بقمعها وإخراجها عن القانون في مراحل تأسيسها الأولى، استنادا إلى قانون الطوارئ الانتدابي ١٩٤٥م.

[٣٩]. حول هذا الموضوع راجع تقريرا نشر في صحيفة هآرتس ٦ آب ٢٠٠٧م.

[٤٠]. مقتبس في مقال سيما قدمون، يديعوت أحرونوت ٧ أيلول ٢٠٠٧م.

[٤١]. ليلي غاليلي، هآرتس، ١٣ تموز ٢٠٠٧م.

[٤٢]. مقتبسة في مقال نشره الصحفي أسعد تلحمي، أسبوعية "فصل المقال"، ٢٤ آب ٢٠٠٧م، ص٦.

[٤٣]. معلق للشؤون الأمنية في صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية، ومؤلف كتب عن الأمن الإسرائيلي من بينها: كتاب "همغاش وهاكيسف": "الصينية والمال" الذي يوجه اتهامات كثيرة لدور الجيش الإسرائيلي بعد ٥٥ عاما من إقامة دولة إسرائيل، وكتاب آخر عن حرب تموز/آب ٢٠٠٦م على لبنان.

[٤٤]. تحليل كبته الصحفي والمعلق عوفر شيلح، معاريف ٢٤ آب ٢٠٠٧م.

[٤٥]. معاريف ٢٤ آب ٢٠٠٧م.

[٤٦]. أسبوعية فصل المقال ١٠ آب ٢٠٠٧م.

[٤٧]. اقتبست الاصطلاح "هلامية" من مقال كتبه عضو الكنيست د. جمال زحالقة، فصل المقال ١٧ آب ٢٠٠٧م.

[٤٨]. هآرتس، ٣ آب ٢٠٠٧م.

[٤٩]. نشر المقال للكاتب יניב איצקוביץ, وهو أديب، يدرس لشهادة الدكتوراة في الفلسفة، وأحد الجنود الإسرائيليين الموقعين عام ٢٠٠٢م على عريضة رفض الخدمة في المناطق المحتلة: موقع يديعوت أحرونوت على الإنترنت، Ynet.co.il بتاريخ ٣ أيلول ٢٠٠٧م.

[٥٠]. يديعوت أحرونوت ٢٤ آب ٢٠٠٧م.

[٥١]. صحيفة هآرتس ٢ أيلول ٢٠٠٧م.

[٥٢]. يديعوت أحرونوت ٢٤ آب ٢٠٠٧م.

[٥٣]. إسحاق منيربي، مقابلة مع راديو إسرائيل: ريشت بيت، الساعة ١٥:٤٣ في ٩ آب ٢٠٠٦م.

[٥٤]. معاريف ١٦ آذار ٢٠٠٧م.

[٥٥]. مقابلة مع أفرايم سنية، نائب وزير الدفاع، راديو إسرائيل ١ تشرين ثاني ٢٠٠٦م، في الساعة ٨:٢١ صباحا.

[٥٦]. معاريف ٢٢ آب ٢٠٠٦م.

[٥٧]. معاريف ٨ أيلول ٢٠٠٦م.

[٥٨]. معاريف ٨ أيلول ٢٠٠٦م.

[٥٩]. هآرتس ٢٥ آب ٢٠٠٦م. ويذكر أن اسم حسن نصر الله شائع في المجتمع العربي، وهذا العمل بحد ذاته- سيما أن وزير الدفاع زمن الحرب عمير بيرتس قد رفع سقف التوقعات من هذه العملية على أنها "سوف تغير مسار الحرب" على حد قوله- يعد فشلا ذريعا لا يمكن المرور عليه بسلام من المخابرات العسكرية.

[٦٠]. يديعوت أحرونوت ٢٥ آب ٢٠٠٥م.

[٦١]. معاريف ٢٢ آب ٢٠٠٦م.

[٦٢]. تقرير إخباري عن الموضوع في صحيفة معاريف ٢٤ آب ٢٠٠٧م.

[٦٣]. معاريف، على الصفحة الأولى، بتاريخ ٨ آب ٢٠٠٧م.

[٦٤]. صحيفة هآرتس، ٥ أكتوبر ٢٠٠٣م.

[٦٥]. هارتس، ١٢ أيلول ٢٠٠٦م.

[٦٦]. موقع صحيفة يديعوت أحرونوت، Ynet.co.il، بتاريخ ٢٢ آب ٢٠٠٧م.

[٦٧]. موقع صحيفة يديعوت أحرونوت ، Ynet.co.il بتاريخ ١ آب ٢٠٠٧م.

[٦٨]. تم اقتباسه من قبل يوئيل ماركوس، هآرتس ٣ آب ٢٠٠٧م.

[٦٩]. موقع صحيفة يديعوت أحرونوت، Ynet.co.il بتاريخ ١ آب ٢٠٠٧م.

[٧٠]. معاريف، ٨ آب ٢٠٠٧م.

[٧١]. يديعوت أحرونوت، ٧ آب ٢٠٠٧م.

[٧٢]. انظر دراسة للدكتور داوود خير الله، أستاذ القانون الدولي في جامعة جورج تاون، تحت عنوان "الحرب الإسرائيلية على لبنان، متى بدأت، وهل انتهت؟"، نشرت على شبكة الإنترنيت.

[٧٣]. لم يعد سرا أن قناة المنار التلفزيونية ومحطة "النور" الإذاعية التابعتين لحزب الله قد لعبتا دورا مهما في الحرب في نقل ما يدور، واللعب في الحرب النفسية التي شنها حزب الله على الإسرائيليين، وكانت ناجحة وفق تقييمات كثيرة في إسرائيل. وهما من أهم الوسائل التي ساعدت على حسم المعركة بإفشال إسرائيل في تحقيق أهدافها من الحرب. طالب عديد من خبراء الحرب النفسية في إسرائيل بقصف المنار، وتعطيل إذاعة النور، وبعد أن قامت إسرائيل بقصف بناية محطة المنار وردمها، والتشويش على محطة النور لم تتوقف قناة المنار عن البث سوى دقائق، وتغيبت محطة النور بعض الوقت نتيجة التشويشات الإسرائيلية على موجاتها الإذاعية.

[٧٤]. وفق مصادر أخرى، اعتمدت على مصادر عربية، قتل من الإسرائيليين ٢٥٠ جنديا، وجرح ٤٥٠ جنديا.

[٧٥]. اعتمدنا على أرقام القتلى في الجيش الإسرائيلي على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية باللغة ا لعربية.

[٧٦]. كان نقاش مستمر حول ما حدث في القيادة الإسرائيلية بيني وبين بروفسور جنرال يهوشافاط هركابي، وكان أستاذي حينها في الجامعة العبرية، فقد درست الماجستير في العلاقات الدولية- الجامعة العبرية- القدس.

[٧٧]. كانت هناك نظرية في إسرائيل تقول: إن أحد أهداف الحرب على لبنان هو تمكين سيطرة إسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة، أي إن ضرب منظمة التحرير في لبنان سوف يشكل ضربها في المناطق المحتلة على قدم وساق. وبالتالي تستطيع إسرائيل أن تفعل ما تشاء في المناطق المحتلة.

[٧٨]. ينظر كتاب للكرتون صدر عام ١٩٨٨م، جمعية Committee Arab American Anti-Discrimination ADC الجمعية الأمريكية لمكافحة التمييز العنصري، واشنطن العاصمة.

[٧٩]. صحيفة الخليج- الإمارات العربية المتحدة ١٧ آب ٢٠٠٧م.

[٨٠]. واشنطن بوست ٨ كانون أول ١٩٩٢م.

[٨١]. يعمل- الآن ٢٠٠٧م في إسرائيل- رئيس مديرية الخدمة المدنية التابعة لمكتب رئيس الوزراء، والتي بموجبها تريد الحكومة تجنيد المواطنين العرب للخدمة الوطنية في إسرائيل بدل الخدمة الإجبارية في الجيش.

[٨٢]. واشنطن بوست ٨ كانون أول ١٩٩٢م.

[٨٣]. Washington Post, December 8, 1992

[٨٤]. As quoted by Rowland Evans and Robert Novak, The Washington Post November 1, 1991, A25.

[٨٥]. The New York Times, January 19, 1989.

[٨٦]. هناك أسماء مختلفة لهذه العمليات، من بينها عمليات تفجيرية أو عمليات انتحارية أو عمليات استشهادية.

[٨٧]. لم تحدد إسرائيل أهداف الحرب عند نشوبها، بل أشارت إليها بعد أيام من وقوعها في خطاب أولمرت أمام الكنيست الإسرائيلي.

[٨٨]. الشهادة للجنرال يفتاح رون طال- قائد سلاح المشاة سابقا في الجيش الإسرائيلي- تم اقتباسها بواسطة الصحفي أسعد تلحمي، أسبوعية فصل المقال ٢٤ آب ٢٠٠٧م، ص ٦,

[٨٩]. مقتبسة بواسطة أسعد تلحمي، فصل المقال ٢٤ آب ٢٠٠٧م ص ٦.

[٩٠]. من مقال عمير ربابورت، المعلق العسكري لصحيفة معاريف، معاريف ٢٤ آب ٢٠٠٧م.

[٩١]. موقع صحيفة هآرتس على الإنترنت، Haaretz.co.il بتاريخ ٥ أيلول ٢٠٠٧م.

[٩٢]. مقتبس في مقال أمير أورن، موقع صحيفة هآرتس على الإنترنيت، Haaretz.co.il بتاريخ ٥ أيلول ٢٠٠٧م.

[٩٣]. كشف عن هذه المعلومات النائب ران كوهين، في خطاب له في الكنيست الإسرائيلي ٣ تموز ٢٠٠٧م.

[٩٤]. كانت مظاهرة صاخبة إثر نشر التقرير الأولي للجنة فينوغراد في ٣ أيار، في شوارع تل أبيب، وحضرها ما يقارب ١٠٠ ألف متظاهر من مختلف الطيف السياسي في إسرائيل، من مجموعات يسارية، ومن مجموعات من المستوطنين، ومن القوميين المتدينين، وجميعهم- وبصرخة واحدة- طالبوا بإقالة أهود أولمرت. لكن

أولمرت رفض هذا بدعوة "أن هؤلاء لن يجبروني على الخروج من مكتب رئاسة الوزراء". انظر تقرير وافي في صحيفة يديعوت أحرونوت، ٤ أيار ٢٠٠٧م.

[٩٥]. Jill Carrol "The US military and President Bush is studying the Algerian War for Independence", The Christian Science Monitor, June 29, 2007. www.csmonitor.com/2007/0629/p01s02.wome.html

[٩٦]. نشرت في موقع صحيفة يديعوت أحرونوت على شبكة الإنترنت، Ynet.co.il، بتاريخ ٢٠ آب ٢٠٠٧م.

[٩٧]. معاريف ٨ آب ٢٠٠٧م.

[٩٨]. أطلقت صواريخ حزب الله على كفار غلعادي إلى الشرق من كريات شمونة في ٦ آب ٢٠٠٦م، فقتلت ١٢ جنديا، وجرحت ١٠جنود. المنظر وفق ما شرح تقرير في القناة ١ التلفزيونية في إسرائيل بأن المناظر مريعة لم يشاهدوا مثلها من قبل: أجسام متناثرة. وقال أحد المعلقين: ما حدث في كفار غلعادي كان أصعب ما حدث منذ بداية الحرب، فهناك كثير من الخسائر المادية والبشرية.

[٩٩]. هآرتس، ٢٠ كانون الأول ٢٠٠٦م.

[١٠٠]. ذكر هذا الوصف في إحدى الصحف العبرية الكبيرة، في برنامج عرض الصحافة العبرية: راديو إسرائيل ريشت بيت، الساعة ٥-٦ صباحا، ١٠ كانون الأول ٢٠٠٦م. انظر: هآرتس ١٩ كانون الأول ٢٠٠٦م.

[١٠١]. يديعوت أحرونوت، ٧ أيلول ٢٠٠٧م.

[١٠٢]. موقف يديعوت أحرونوت على شبكة الإنترنيت، ynet.co.il، ١٥ تموز ٢٠٠٧م.

[١٠٣]. يديعوت أحرونوت، ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٧م.

[١٠٤]. مقال كتبه ونشرته صحيفة هآرتس، ٦ آب ٢٠٠٧م.

[١٠٥]. عقد مؤتمرا عام ١٩٩٩م مثل مختلف الجهات اليهودية الشرقية في إسرائيل، وأجمع المتحدثون أن ثقافة اليهود الشرقين قد وصلت في تأثيرها مركز بناء الثقافة السياسية في إسرائيل. وأن الجن الشرقي لا يمكن إعادته إلى القمقم. (ليف غرينبرغ، ٢٠٠٧م).

[١٠٦]. تفاصيل كاملة حول الصراع بين اليهود الشرقيين والقيادة الإشكنازية المتفردة في النظام في إسرائيل. انظر كتاب ليف غرينبرغ: "السلام الوهمي، حديث الحرب: فشل القيادة، السياسات والديموقراطية في إسرائيل ١٩٩٢-٢٠٠٦م" الصادر عام ٢٠٠٧م.

[١٠٧]. انظر مقابلة مع عمير بيرتس، يديعوت أحرونوت، ٣١ آب ٢٠٠٧م. انظر مقالا حول الموضوع كتبه عوزي بنزيمان، هآرتس، ٥ أيلول ٢٠٠٧م.

[١٠٨]. صحيفة هآرتس، ٣٠ آب ٢٠٠٧م. قام بيتون بضم مهاجرين روس جدد وعربا، وليس إيمانا في تقارب الطوائف والمجموعات، وإنما- لأمر تكتيكي- لأن هذه المجموعات الثلاث هي أكثر المجموعات تضررا من سياسات إسرائيل الأمنية والاقتصادية والاجتماعية في السنوات الأخيرة.

[١٠٩]. معاريف، ٣٠ آب ٢٠٠٧م.

[١١٠]. تقرير حول عصابات من المهاجرين المتحدثين باللغة الروسية تتنظم بعصابات مؤيدة للنازية في إسرائيل. يديعوت أحرونوت، ٩ أيلول ٢٠٠٧م.

[١١١]. أشار الخبر (في يديعوت أحرونوت، ٥ أيلول ٢٠٠٧م) أن عدد الإسرائيليين المتوجهين إلى السفارة الإسرائيلية في برلين للحصول على جنسية ألمانية بلغ السنة ١٥٠ طلبا، بينما بلغ العدد عام ٢٠٠٦م ٣٠ طلبا فقط. ولم يذكر الخبر عدد المتوجهين للسفارة الألمانية في تل أبيب بطلب الحصول على الجنسية الألمانية، وقد زاد في السنة الأخيرة بسبب الأزمة التي تمر في إسرائيل بين "الناجين من المحرقة اليهودية" وحكومة إسرائيل بسبب عدم حصولهم من التعويضات التي تقدمها حكومة ألمانيا لإسرائيل من أجلهم إلا الشيء اليسير.

[١١٢]. تقرير إخباري أذيع في راديو إسرائيل ريشت بيت، بين الساعة الخامسة والسادسة صباحا، عرض الصحف، ٢١ آب ٢٠٠٧م.

[١١٣]. نشر تقرير حول هذا الموضوع على صفحة كاملة من صحيفة يديعوت أحرونوت في ٧ أيلول ٢٠٠٧م. ومما لا شك فيه أن هذا يؤثر على الإسرائيليين وخاصة كيف يرونهم اليهود الآخرون من الولايات المتحدة.

[١١٤]. الدراسة التي ستنشر في القريب بعد إجراء دراسة حديثة للمقارنة مع ما حدث عام ١٩٩١م، ستنشر للمؤلف تحت عنوان "College Students in the USA and The Arab-Israeli Conflict"

[١١٥]. يديعوت أحرونوت، ٧ أيلول ٢٠٠٧م.

[١١٦]. الخبر نشر في صحيفة يديعوت أحرونوت، ٥ أيلول ٢٠٠٧م.

[١١٧]. تم اقتباسه في مقال ناحوم برنيع وشمعون شيفر، يديعوت أحرونوت، ٧ أيلول ٢٠٠٧م.

[١١٨]. معاريف، ١٦ تموز ٢٠٠٦م.

[١١٩]. حذر وزير المالية الجديد في إسرائيل روني باراون من خلق اقتصاد يسرابلوف في إسرائيل. انظر تقريرا في صحيفة هآرتس، القسم الاقتصادي هماركار، ٦ آب ٢٠٠٧م ص ,٨

[١٢٠]. Boy Nathanson, (2007) "The Middle East Under Fire?" The Macro Center for Political Economic, Tel Aviv. www.macro.org.il

[١٢١]. ما نقله التلفزيون الإسرائيلي القناة العاشرة عن شهادة بيرس أمام لجنة فينوغراد، ٢٢ آذار ٢٠٠٧م.

[١٢٢]. يديعوت أحرونوت، ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٧م.

[١٢٣]. العائلات الخمس هي: دانكنير، وسامي ويولي عوفر، وإسحاق تشوبه، ودودي فايسمان، وحاييم سابان.

[١٢٤]. هآرتس، موقع الإنترنت، ١٩ تموز ٢٠٠٧م.

[١٢٥]. في خطاب لغالب مجادلة- وزير العلوم والرياضة والثقافة في إسرائيل- في مهرجان إنهاء برنامج المنح لطلاب العلوم- كلية رحوبوت التكنولوجية، ٢٢ تموز ٢٠٠٧م.

[١٢٦]. هآرتس، ١٠ نيسان ٢٠٠٧م.

[١٢٧]. موقع صحيفة يديعوت أحرونوت على شبكة الإنترنت، نشر بتاريخ ٢٣ تموز ٢٠٠٧م.
www.ynet.co.il/comp/ArticleLayout/CdaArticlePrintPreview/1,2506,L-3428894,00.html

[١٢٨]. مقتبس من وثيقة "اقتصاد إسرائيل في عصر العولمة" صدرت حديثا عن مركز لدراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب، وهي بقلم د. شموئيل إيبن، الضابط السابق في الاستخبارات العسكرية، وبني لندا من كبار رجال الصناعة المتطورة في إسرائيل.

[١٢٩]. موقع صحيفة يديعوت أحرونوت على شبكة الانترنيت نشر بتاريخ ٢٣ تموز ٢٠٠٧
www.ynet.co.il/comp/ArticleLayout/CdaArticlePrintPreview/1,2506,L-3428894,00.html

[١٣٠]. المكتب المركزي للإحصائيات في إسرائيل- القدس. تقرير عن ميزان المدفوعات الإسرائيلي لعام ٢٠٠٦م باللغة العبرية. صدر في ١٤ آذار ٢٠٠٧م. يمكن العودة إلى المصدر على شبكة الإنترنت وفق العنوان التالي:
www.cbs.gov.il/hodaot2007n/09_07_045b.doc

[١٣١]. حول مواقف أينشتاين من دولة إسرائيل انظر كتاب:
Walter Izeccson, (2007) "Einstein: His Life and Universe: Biography and Autobiography, N.Y: Simon & Schuster Publishing

[١٣٢]. إذا تعسر العودة إلى الكتاب نفسه- وأنا أنصح أن تتم قراءته كاملة- فيمكن العودة إلى مراجعة للكتاب، كتبها د. محمود محارب (حديث الناس)، ٢٤ آب ٢٠٠٧م.

[١٣٣]. حول مواقف الجماهير العربية من أمريكا وما تشكله من خطر على المصالح الأمريكية الحيوية بسبب تأييد أمريكا لإسرائيل، انظر ما قام به بروفسور شبل تلحمي Telhami، من مركز Center for International Development and Conflict Resolution (CIDCM) في جامعة ماريلاند- كولج بارك الأمريكية.

[١٣٤]. معاريف، ٣ أيار ٢٠٠٧م.

[١٣٥]. تجسدت في إصدار كتب ومقالات كثيرة، أبرزها كتاب ستيف وولت، وجون ميشهيمر (The Israeli Lobby)، عام ٢٠٠٧م، وهو منشور في لندن، وكتاب الرئيس جيمي كارتر (فلسطين: سلام وليس تمييزا عنصريا) ٢٠٠٦م.

[١٣٦]. حضرت لقاء لمئات الأساتذة المتخصصين في الدراسات الإسرائيلية في مؤتمر علمي في كندا في أيار ٢٠٠٦م، ومعظمهم قدِموا من الولايات المتحدة، وكان موضوع البحث مناقشة تأثير تلخيص كتاب وولت وميشهيمر. كان الرأي السائد أن للكتاب تأثيرا كبيرا على الجامعات والأكاديميين الأمريكيين، وعلى أمريكا ان تأخذ ما يكتباه بعين الاعتبار. وكان المؤتمر السنوي لمنظمة الدراسات الإسرائيلة Association for Israeli Studies في مدينة بامف- جبال الروكي الكندية.

[١٣٧]. يديعوت أحرونوت، ٧ أيلول ٢٠٠٧م.

[١٣٨]. كتبها في كلمة العدد، أسبوعية فصل المقال، ٧ أيلول ٢٠٠٧م.

المراجع العربية

- حسن براري، ٢٠٠٤م "أمن إسرائيل: صراعات الأيدولوجيا والسياسة" كراسات استراتيجية، السنة ١٤ والعدد ١٤٣، أيلول، صادر عن مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة- جمهورية مصر العربية. على موقع الإنترنت.
- داوود خير الله، ٢٠٠٧م "الحرب الإسرائيلية على لبنان متى بدأت وهل انتهت؟"، على الإنترنت.
- سمير سمعان وآخرون، ٢٠٠٤م "العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية"، مركز دراسات الشرق الأوسط- عمان.
- تقارير مدار الإستراتيجية، ٢٠٠٥م و٢٠٠٦م، "مدار" المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله- فلسطين ٢٠٠٥م، ٢٠٠٦م.
- مكتب الإحصاء المركزي في إسرائيل: www.cbs.gov.il
- صحيفة معاريف الإسرائيلية، وموقعها الإلكتروني: www.nrg.co.il
- صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية، وموقعها الإلكتروني www.ynet.co.il
- صحيفة هآرتس الإسرائيلية، وموقعها الإلكتروني www.haaretz.co.il

المراجع العبرية

- **יגאל אלון,** 1960 מסך של חול, (תל אביב, הקיבוץ המאוחד).
- **אברהם בורג** 2007 , "לנצח את היטלר" (תל אביב: ספרית ידיעות, ספרי חמד).
- **מרדכי בר און** 1992, שערי עזה:מדיניות הבטחון של ישראל 1957-1955" (תל אביב: עם עובד).
- **ישראל גלילי,** 1987 במוקדי עשייה והכרעה (תל אביב: הקיבוץ המאוחד).
- **דפנה גולן-עגנון,** 2002 "איפה אני בסיפור הזה?"، (ירושלים: הוצאת כתר).
- **לב גרינברג, 2007** "שלום מדומיין, שיח מלחמה:כשל המנהיגות,הפוליטיקה והדימוקרטיה בישראל 2006-1992" (תל אביב: הוצאה לאור ריסלינג).
- **דן הורוביץ,** 1982 הקבוע והמשתנה בתפיסת הבטחון הישראלית, ירושלים: האוניברסיטה העברית, המכון ליחסים בינלאומיים ע"ש ל. דוויס.
- **דן הורוביץ ומשה ליסק, 1988** "דמוקרטיה וביטחון לאומי" יהדות זמננו, 4, 65-27
- **כהן א,** 1996 "קנדי, בן גוריון והקרב על דימונה: אפריל-יוני 1963" עיונים בתקומת ישראל, כרך 6, באר שבע, אוניברסיטת בן גוריון בנגב.
- **ראובן פדהצור,** 1200 "תרבות הביטחון הישראלית-מקורותיה והפשעתה על הדמוקרטיה הישראלית" פוליטיקה, כתב עת למדע המדינה וליחסים בינלאומיים, המכון ליחסים בינלאומיים ע"ש לאונד דוויס, האוניברסיטה העברית, עמודים 87-117

– **אביעזר רביצקי، (עורך)**2007 , "ישעיהו ליבוביץ בין שמרנות לרדיקליות: דיונים במשנתו"، ירושלים، מכון ון לִיר، הוצאת הקיבוץ המאוחד.

– **עופר שלח، 200** ٣המגש והכסף– מדוע דרושה מהפכה בצה"ל، הוצאות כנרת، זמורה، ביתן، ישראל.

– **עופר שלח ויואב לימור، 2007** שבויים בלבנון، האמת על מלחמת לבנון השנייה، הוצאת ספרית ידיעות .

المراجع الإنجليزية

- **Mitchell G. Bard**, 2007 "Will Israel Survive?", (New York: Palgrave Macmillan)
- **Michael Brecher**, 1972 "The Foreign Policy System of Israel" (London:Oxford University Press Michael Brecher and Jonathan Wilkenfeld ,1989 "Crisis, Conflict and Instability" (New York: Pergamon Press)
- **Horovitz Dan**, 1992 "The Israeli Concept of National Security" in Yariv A. (ed), National Security and Democracy in Israel, (Boulder, Co: Lynne Reinner.
- **Walter Izeccson**, 2007 Einstein: His Life and Universe: Biography and Autobiography, (N.Y: Simon & Schuster Publishing)
- **Lissak M**, 1992 "Civilian Components in the National Security Doctrine" in Yaniv A (ed), National Security and Democracy in Israel (Boulder, Co: Lynne Rienner) pp 55-80
- **Ian Lustick**, 1989 "Arabs in the Jewish State: Israel's Control of a National Minority", (Austin: University of Texas Press)
- **Ben Meir Y**, 1995, Civil-Military Relations in Israel (New York: Columbia University Press)
- **Boy Nathanson**, 2007 "The Middle East Under Fire?" (Tel Aviv: The Macro Center for Political Economic). www.macro.org.il
- **Marshall Singer R**, 1972 "Weak States in a World of Powers: the Dynamics of International Relationships" (New York: Free Press)
- **Immanuel Wallerstein**, 1980 "The Modern World System II" (New York: Academic Press)
- **Yariv A**, 1992 A Question of Survival: The Military Power Under Seige" in Yariv A (ed), National Security and Democracy in Israel, (Boulder, Co:Lynne Rienner)